

نماذجُ قرآنيةٌ عن الأهلِ والآل

بَعْدَمَـا تَنَاوَلْتُ فِي الفَصل السَّابِقِ أهَمَّ الأُسُسِ وَالضَّوابِطِ والشُّرُوطِ الَّتِي لا بُدَّ مِنَ الإتْيانِ بِهَا مِنْ أجلِ تَحقِيقِ مَفهُومِ الأهلِيَّةِ وَالرُّجُوعِ لِلأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.. وَبِعِبَارَةٍ أدَقَّ: مِـنْ أجلِ أنْ يَكُونَ الآتِي بِتِلْكَ الشُّرُوطِ مِـنْ جُملَةِ «**الأهْـلِ والآلِ**».. وَيَكونَ المُخِلُّ بِهَا وَالمُقصِّرُ بَعِيداً بَعْضَ البُعْدِ أوْ كُلَّهُ بِحَسَبِ دَرَجَةِ إخْلالِهِ وَنِسْبَةِ تَقْصِيرِهِ وإنْ ٱدَّعَى بِلِسَانِهِ أنَّهُ مِنْ جُملةِ «**أهـلِ**» فُلانٍ، أوْ مِنْ جُملةِ «**آلِهِ**».. فَمَا أكثَرَ الدَّعاوى، ومـا أكثَرَ الأدعِياءِ !!!

سَأتَناوَلُ فِي هذا الفَصلِ - وأختِمُ بِهِ رِحلَتِي هَذِهِ بِإذنِهِ  - نَماذِجَ قُرآنيةً لِمَنْ أخلَّ بِتِلكَ الضَّوابِطِ والشُّروطِ فَكانَ على ما كانَ علَيهِ، وَحَيْثُ جَعَلَ هُوَ نَفسَهُ .. ونـأخُذُ بَعدَ ذلِكَ أنَموذَجاً آخَرَ لِمَنْ ٱستَوفى تِلكَ الضَّوابِطِ والشُّروطِ ؛ فَكانَ - بِحَقٍّ - أهـلاً لِكُلِّ خِيرٍ؛ لِيبْقى لَنا - نَحنُ - الخِيارُ، وأيَّ الطَّرِيقَينِ نَختارُ.. فَجاءَ الفَصلُ مُؤَلَّفاً مِنْ مَبَحَثَينِ ..

المبحث الأول/

أصحاب الأنبياء السابقيـن 

سَنَتعرَّفُ فِي هذا المَبْحثِ بإذنِ اللهِ ، وَمِنْ خِلالِ جَولةٍ قُرآنيةٍ مُباركةٍ على حالِ الأنْبِياءِ  مَعَ أقْوامِهِمِ، وَحالِ تِلكَ الأقوامِ مَعَ أنبيائِها.. وَلَوْ أخذْنا مِثالاً عَنْ أصحابِ أُولئِكَ الأنْبياءِ السَّابِقِينَ  أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ؛ بٱعتبارِهِمِ أفْضلَ أنْبِياءِ اللهِ سلامُ اللهِ عليهِم أجمعين، وَهُم: نُوحٌ وإبْـرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ؛ لِنَتعرَّفَ كيفَ كانَ حالُهُم مَعَ آلِهِم ، قَوْمِهِم وأصْحابِهِم وَأَتْباعِهِم ..

أمَّـا نُوحٌ  فقدْ أخْبرَ اللهُ  عنهُ بأنَّهُ ... َمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ([[1]](#footnote-0))، وَلَمْ يَكْشِفْ لَنَا القُرآنُ الكَريمُ عَنْ تَفَاصِيلَ أكثرَ مِنْ كَوْنِ الكافِرِينَ بِهِ كَانُوا قَابَلُوهُ بٱلاسْتِهزَاءِ والسُّخْرِيةِ والتَّكذِيبِ لِدِينِ اللهِ  ([[2]](#footnote-1))..

وأمَّـا إبْراهيمُ  فَلَمْ يُؤمِنْ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ سِوى لُوطٍ   فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ([[3]](#footnote-2))، وَلَمْ يَكْشِفْ لَنَا القُرآنُ الكَريمُ - كَذلِكَ - عَنْ تَفَاصِيلَ أكثرَ مِمَّا فِي قِصَّةِ نُوحٍ  ([[4]](#footnote-3))..

فَمَا بَقِيَ لَنَا إلاَّ أنْ نُطِيلَ الوُقوفَ أمامَ قَومِ مُوسى ، وَهُمُ اليَهودُ ، وأَنْ نُطيلَ الوُقوفَ أمامَ قَوْمِ عِيسَى ، وَهُمُ النَّصارَى؛ ذَلك أنَّهُما آخِـرُ الأُممِ قَبلَ أُمَّةِ aٍ »، وَمَواقفُهُما مَعَ نبِيَّيْهِما أكثرُ؛ فالإفَادةُ مِنْ سِيَرِهِمَا مَعَهُما أعمُّ ، والتَّجارِبُ أكبرُ.. نَتَبيَّـنُ ذلِكَ جَلِيَّاً وَاضِحاً مِنْ خِلالِ سُوَرِ القرآنِ الكريمِ وآياتِهِ ، فَقَدْ خَصَّصَ القرآنُ لِذكْرِهِم مَسَاحةً وَاسِعةً شَمِلتْ - فِي بَعْضِ الأحْيانِ - سُوَراً كامِلةً ..

وَمِنَ المَعلُومِ بأَنَّ القرآنَ الكَرِيمَ يذكُرُ الأشياءَ على قَدَرِ ٱهتمامِهِ بها([[5]](#footnote-4))؛ فقدْ ذكرهُمُ  لأَجْيالِ هذِهِ الأُمةِ رَحْمةً ورأفةً بِها، وإكْرَاماً لَهَا لِتتَّعظَ وَتَعْتبِرَ بِمَا ٱرْتَكَبُوا مِنْ أخطاءَ ، وَمَا ٱقتَرَفُوا مِنْ آثامَ، وَمَا أتَوْأ مِنْ مَنْهيَّاتِ، وَمَا نَبَذُوا مِنْ أوامِرَ، لا سيِّما اليَهُودُ وَمواقِفُهُم مَعَ نَبِيِّ اللهِ وكَلِيمِهِ مُوسى .. قالَ  في مُحكمِ كِتابِهِ العَزِيزِ:  وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ([[6]](#footnote-5)).. وَقالَ :  أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ([[7]](#footnote-6))..

والآنَ سنتعرَّفُ على حالِ قَوْمِ مُوسى «اليَهُودِ» وَمَواقِفِهِمْ مَعَهُ وَمَعَ اللهِ ؛ لِنَعْرِفَ - بَعْدَ ذلِكَ - مَدَى ٱنَتِسابِهم وَرُجُوعِهِم إلى هذا النَّبيِّ الكَرِيمِ، وَمَدَى كَونِهِمْ مِنْ «آلِ مُوسى».. وَلَيْسَ الأُولُ الذي أَعنِيهِ - هُنَا - بِمَعْنى قَوْمِ الرَّجلِ وأُمَّتهِ، إنَّمـا هُوَ الذي بِمَعْنَى المُؤمِنينَ والأتباعِ والمُطيعينَ والأنصارِ المُؤازِرِينَ.. فلْنرَ ذلكَ سَوِيةً مِنْ خِلالِ المَوَاقِفِ التَّالِيةِ :-

الموقف الأول / يقُصُّ اللهُ  عَلَيْنا قِصَّتهم أوَّل مَا سَارَ بِهِم مُوسَى  مِنْ مِصْرَ إلَى الأرْضِ المُقدَّسَةِ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ ؛ وَأتْبَعَهُم فِرْعَونُ بِجُنُودِهِ ، قَالَ :  فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ([[8]](#footnote-7)).. «أصْحابُ مُوسَى» هَكَذَا جَاءَ اللَّفْظُ القُرآنِيُّ عَامَّـاً شَامِلاً لَهُمْ جَمِيعاً مِنْ دُونِ ٱستِثْناءِ أحَدٍ ؛ ممَّا يدُلُّ عَلَى قِلَّةِ ثباتِهم فِي المُلِمَّاتِ، وَيَعْكِسُ قِلَّةَ يَقِينِهِمْ وَثِقَتِهِمْ بِاللهِ ، وَٱطْمِئْنَانِهِمْ إلَى وَعْدِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ لَهُمْ وَلِرَسُولِهِ ؛ فَقَدْ قَـالُوا ذَلِكَ لِمُوسَى تَشَاؤُمَاً بِهِ، وَتَوْبِيخاً لَهُ([[9]](#footnote-8)) ..

وَقَـالُوا لَهُ كذلِكَ:  أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا([[10]](#footnote-9)).. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ وَصِيَّتِهِ  لَهُمْ أنِ  اسْتَعِينُوا بِالله وَاصْبِرُوا ...([[11]](#footnote-10)).. فَـ(( مَاذَا كَانَ مِنْ تَأثِيرِ وَصِيَّةِ مُوسَى  لِقَومِهِ ؟؟ وَهَلْ فَهِمُوهَا وَقَدَّرُوهَا قَدَرَهَا ؟؟ وَبِمَ أجَابُوهُ ؟؟  أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا([[12]](#footnote-11)).. يَعْنُونَ أنَّهُمْ لَمْ يَستَفِيدُوا مِنْ إرْسَالِهِ لإنْقَاذِهِمْ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَونَ شَيئَاً؛ فَهُوَ يُؤْذِيهِمْ وَيَظْلِمُهُمْ بَعْدَ إرْسَالِهِ كَمَا كَانَ يُؤْذِيهِمْ مِنْ قَبلِهِ أوْ أشَدَّ ...  قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ([[13]](#footnote-12)).. وَقَدْ عَبَّرَ بِـ«عَسَى» وَلَمْ يَقْطَعْ بِالوَعْدِ ؛ لِئَلاَّ يَتَّكِلُوا وَيَتْرُكُوا مَا يَجِبُ مِنَ العَمَلِ.. أوْ لِئَلاَّ يُكَذِّبُوهُ ؛ لِضَعْفِ أنْفُسِهِمْ بِمَا طَالَ عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّلِّ والاستِخْذاءِ لِفِرْعَونَ وَقَومِهِ، وَٱستِعْظَامِهِمْ لِمُلْكِهِ وَقُوَّتِهِ ))([[14]](#footnote-13)) !!

(( وَلا يَخْفَى مَا فِي كَلامِهِم منْ تبرُّمٍ وشُعورٍ بِالخَيْبةِ مِنْ دَعْوةِ مُوسَى ؛ كَأنَّهم أَشارُوا لِمُوسَى  بأنَّ دعوتَهُ لمْ تُغيِّرْ شيئاً مِنْ أحْوالِهِمُ السيِّئَةِ... وَتَكْشِفُ كَلِمَتُهُمْ هَذِهِ عَنْ طَبِيعَتِهِمُ المَادِّيَّةِ؛ فَالمُهِمُّ عِنْدَهم أنْ تَتَغيَّرَ أَوْضَاعُ حَيَاتِهِمْ وَمَعِيشَتِهِمْ أكْثَرَ مِنَ التَّغَيُّرِ الَّذِي حَدَثَ فِي عَقِيدَتِهِمْ وَعِبادَتِهِمْ ))([[15]](#footnote-14))؛ إذْ أنَّهُ (( لَمْ تَكُنْ رِحْلَتُهُمْ مَعَ مُوسَى  رِحْلَةَ إيمَانٍ يَبْحَثُ عَنِ الحَقِيقَةِ.. بَلْ كَانَتْ رِحْلَةَ ٱضطِهَادٍ يَبْحَثُ عَنِ الخَلاصِ !! كَانَ الإيمَانُ لَهُمْ وَاجِهَةً - مُجَرَّدَ وَاجِهَةٍ - وَكَانَتِ الرِّسَالَةُ وَسِيلَةً - مُجَرَّدَ وَسِيلَةٍ - لِلوُصُولِ إلَى الحُرِّيَّةِ !! وَكَانَ مُوسَى  نَبِيَّاً؛ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَرَّكُونَ مَعَهُ مِنْ مَوقِعِ القَائِدِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ أنْ يَرْبَحَ المَعْرَكَةَ ضِدَّ العَدُوِّ، لا مِنْ مَوْقِعِ الرَّسُولِ الَّذِي يُرِيدُ أنْ يُحَقِّقَ مِنْ خِلالِهِمْ - فِي الانتِصَارِ عَلَى العَدُوِّ المُتَألِّهِ الطَّاغِي - أهْدَافَ رِسَالَتِهِ فِي تَغْيِيرِ الحَيَاةِ وَالإنْسَانِ عَلَى أسَاسِ وَحْيِ اللهِ !! كَانُوا يَشْعُرُونَ - فِيمَا يَبْدُو - أنَّ النُّبُوَّةَ سِلاحٌ فِي المَعْرَكَةِ ضِدَّ فِرْعَوْنَ، لا حَقِيقَةٌ إلهِيَّةٌ فِي الحَيَاةِ ضِدَّ كُلِّ مَا هُوَ زَيْفٌ فِي الفِكْرِ، وَفِي الوَاقِـعِ !! ))([[16]](#footnote-15))..

وَلِذَلِكَ أفْـردَ مُوسَى  نَفْسَهُ بِمَعِيَّةِ اللهِ  حِينَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ بِصِيغَةِ الزَّجْرِ وَالرَّدْعِ([[17]](#footnote-16)).. قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ([[18]](#footnote-17))، وَلَمْ يَقُـلْ: «إنَّ مَعَنَا رَبَّنا سَيَهْدِينَا» !! وَكَأنَّهُمْ غَيْرُ مَشْمُولِينَ بِهَذِهِ المَعِيَّةِ، وَتِلكَ الهِدَايَةِ الربَّانِيَّةِ !! قَالَ ٱبنُ عاشُورٍ فِي تَعلِيقِهِ عَلَى الآيةِ: (( وَٱقْتَصَرَ مُوسَى عَلَى نَفْسِهِ فِي قَولِهِ:  إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ؛ لأنَّهُم لَمْ يَكُونُوا عَالِمِينَ بِمَا ضَمِنَ اللهُ لَهُ مِنَ العِنَايَةِ ))([[19]](#footnote-18)).. وَقَالَ عَبْدُ الحَمِيد طُهْماز: (( وَيُلاحَظُ أنَّهُ  لَمْ يَقُلْ:  إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ » لأَبِي بَكْرٍ عِنْدَمَا كَانَا فِي الغَارِ؛ وَلَعَلَّ السَّبَبَ أنَّ مُوسَى  كَانَ يَعلَمُ حَقِيقَةَ مَا تَنْطَوِي عَلَيهِ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ مِنَ النَّوايَا السَّيِّئَةِ، وَسُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ ، وَالَّتِي أظْهَرَتْها - بَعْدَ ذَلِكَ - الأحْدَاثُ اللاَّحِقَةُ.. كَعِبَادَتِهِمُ العِجلَ، وَتَخَاذُلِهِمْ عَنْ تَنْفِيذِ أمْـرِ مُوسَى  بِالجِهَادِ ))([[20]](#footnote-19)).. أيْـنَ ذلك مِمَّا قَالَهُ نَبِيُّنَـا aٌ » لِصَاحبِهِ فِي الغَارِ يَوْمَ الهِجْرَةِ ([[21]](#footnote-20)):  لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا([[22]](#footnote-21)) ؟!! إذْ أضَافَ ٱبنُ عاشُورٍ قَائِلاً: (( وَهَذَا وَجْهُ ٱختِلافِ المَعِيَّةِ بَيْنَ مَا فِي هَذِهِ الآيَةِ، وَبَيْنَ مَا فِي قَولِهِ  فِي قِصَّةِ الغَارِ:  إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا([[23]](#footnote-22))؛ لأنَّ تِلْكَ مَعِيَّةُ حِفْظِهِمَا كِلَيْهِمَا بِصَرْفِ أعْيُنِ الأعْدَاءِ عَنْهُمَا ))([[24]](#footnote-23))..

(( لقدْ تَعَرَّضَ مُوسَى  إلَى مَوقِفٍ عَصِيبٍ مُشابِهٍ لِموقِفِ النَّبِيِّ » وَصَاحبِهِ  فِي الغَارِ.. لَقَدْ طاَرَدَهُمْ فِرْعَونُ وَجُنودُهُ حَتَّى حَاصَرُوهُمْ أمَامَ البَحْرِ، وَألْجَؤوهُم إلَيهِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ مَنْفَذٍ !!  فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ([[25]](#footnote-24)).. المَوقِفُ وَاحِدٌ ، وَالصُّورةُ مُتَشَابِهَةٌ: هُنَا مُوسَى  وَقَومُهُ مُحَاصَرُونَ أمَامَ البَحْرِ، وَحَولَهُمْ فِرْعَونُ وَجُنُودُهُ .. وَهُنَاكَ aٌ » وَصَاحِبُهُ  مُحَاصَرانِ فِي الغَارِ، وَأَبُو جَهلٍ وَجُنودُهُ مُحِيطُونَ بِهِما !! لكِنْ.. تَأَمَّـلْ كَيْفَ يُعبِّرُ القُرآنُ عَنْ كُلٍّ مِنَ المَوقِفَينِ.. وَكَيفَ رَسَمَ كُلاًّ مِنَ الصُّورَتَيْنِ..

لَقَدِ ٱستَعْمَلَ  مَـعَ مُوسَى  لفظَ  أَصْحَابُ مُوسَى، وَمَـعَ aٍ » لَفْظَ صَاحِبِهِ .. وَصَاحِبُ aٍ هَادِئُ النَّفسِ، مُطمئِنُّ الضَّمِيرِ، سِوَى أنَّهُ حزينٌ، أوْ يُقارِبُ أنْ يَكُونَ كَذَلِكَ .. فَيُواسِيهِ صَاحِبُهُ رَسُولُ اللهِ » وَيُخفِّفُ مِنْ حُزْنِهِ قَـائِلاً:  لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا([[26]](#footnote-25)).. أمَّـا  أَصْحَابُ مُوسَى  فَكَانُوا خَائِفِينَ، هَلِعِينَ، آيِسِينَ، لا أمَلَ عِندَهُمْ فِي النَّجَاةِ  إِنَّا لَمُدْرَكُونَ  !! فَيُجيبُهُمْ صَاحِبُهُمْ:  كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ([[27]](#footnote-26)).. أُنظُرْ !! لَقَدْ قَـالَ: مَعِيَ ، وَلَمْ يقُلْ: «مَعَنَا» كَمَا قَالَ النَّبِيُّ » لِصَاحِبِهِ:  إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ([[28]](#footnote-27))..

فَنَجَاةُ أصْحابِ مُوسَى لا لأنَّ اللهَ «مَعَهُمْ»؛ وَإنَّمَا إكْرَامَاً لِمُوسَى  وَتَبَعاً لَهُ .. بَيْنَمَا كَانَ الصِّدِّيقُ  صَاحِبَ النَّبِيِّ » بِالمَعِيَّةِ الإلَهِيَّةِ، لا بِالتَّبَعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ فَقَطْ !! فَاللهُ مَعَ النَّبِيِّ » وَصَاحِبِهِ.. بَيْنَما هُوَ مَعَ مُوسَى دُونَ أصْحَابِهِ .. وَقَـالَ:  إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ([[29]](#footnote-28))، بَيْنَمَا قَالَ النَّبِيُّ »:  إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ([[30]](#footnote-29))؛ فمعيَّةُ مُوسَى مَعِيَّةُ رُبُوبِيَّةٍ، وَمَعِيَّةُ aٍ وَصَاحِبِهِ مَعِيَّةُ أُلُوهِيَّةٍ.. وَالأُلوهيَّةُ أكْمَلُ؛ فَمَا تعلَّقَ بِهَا كَذَلِكَ .. وَمَعِيَّةُ الرُّبُوبِيَّةِ فِيهَا تَعلُّقٌ وَٱلتِجَاءٌ مَـعَ خَوفٍ وَقَلَقٍ.. أمَّـا مَعِيَّةُ الأُلُوهِيَّةِ؛ فَفِيهَا التَّعَلُّقُ وَالتَّفْوِيضُ المَحْضُ مَـعَ الطمْأنِينَةِ وَالثِّقَةِ وَاليَقِينِ !!

وَتَأَمَّلْ كَيْفَ أنَّ مَعِيَّةَ مُوسَى  تَقَدَّمَ فِيهَا ذِكْرُ مَا لِلنَّفْسِ عَلَى ذِكْرِ الرَّبِّ :  إِنَّ مَعِيَ .. وَمَعيَّةُ aٍ » وَصَاحِبِهِ  تَقَدَّمَ فِيهَا ذِكْرُ اللهِ عَلَى مَا لِلنَّفْسِ:  إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.. وَهَذَا أقْـربُ لِلطَّمأنِينَةِ وَالثِّقَةِ وَاليَقِينِ وَالتَّعلُّقِ الخَالِصِ مِنْ كُلِّ حَظٍّ لِلنَّفسِ، وَإنْ كَانَ مَطْلُوباً شَرْعاً !! وَالنَّظْمُ - عَلَى كُلِّ حَالٍ - أبلَغُ وَأدَلُّ عَلَى الفَضْلِ، وَالنَّبِيُّ » وَصَاحِبُهُ يَشْتَرِكَانِ فِيهِ([[31]](#footnote-30))..

الموقف الثاني / وَلَمَّا عَبَرُوا البَحْرَ بِسَلامٍ وَقَدْ أنْجَاهُمُ اللهُ  مِنْ فِرْعَونَ وَجُنُودِهِ بمُعجِزَةٍ خَارِقَةٍ، رَأوْهَا بأُمِّ أعْيُنِهِمْ وَفَـاءً بِوَعْدِهِ لِرَسُولِهِ مُوسَى  الَّذِي قَـالَ لَهُمْ:  إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ([[32]](#footnote-31))، وَقَدْ هَدَاهُ اللهُ  لأحْسَنِ السُّبُلِ.. قَالَ  وَهُو يقُصُّ عَلَينا قِصَّةَ إنْجَاءِ هَؤُلاءِ :  فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ([[33]](#footnote-32)) ...

وَلَكِنْ.. تُـرَى مَاذَا كَانَ مِنْ هَؤُلاءِ الأَصْحَابِ بَعْدَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الجَلِيلَةِ وَالآيَةِ العَظِيمَةِ، نِعْمَةِ إنْجائِهِمْ مِنْ فِرْعَونَ وَمَلائِه بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السِّنِينَ مِنَ التَّقْتِيلِ وَالاستِحْياءِ وَالاستِعْبادِ وَالذِّلَّةِ وَالمَسْكَنةِ ؟!! هَـلِ ٱنْكَبُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ شُكْراً للهِ  عَلَى مَا أَسْدَى عَلَيهِمْ ؟!! لِنَتْرُكَ القُرآنَ يَقُصُّ عَلَينَا قِصَّتَهُمْ  وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ([[34]](#footnote-33)).. قَـالَ  فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ العَزِيزِ:  وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ  إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ([[35]](#footnote-34)) !! (( عَجِيبٌ أمْرُ بَنِي إسْرَائِيلَ؛ إنَّهُمْ قَومٌ ٱعتَادُوا العِنَادَ وَالجُحُودَ بَعْدَمَا أنْجَاهُمْ اللهُ مِنْ فِرعَونَ، وَأغْرَقَهُ أمَامَهُمْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْهِ !! وَتَجَاوَزُوا البَحْرَ إلَى اليَابِسِ وَأقْدَامُهُمْ مُبتَلَّةٌ بِمَاءِ البَحْرِ.. كَانَ قِياسُ العُقَلاءِ يَقْتَضِي أنْ يَخِرُّوا ساجِدِينَ سُجُودَ شُكْرٍ؛ وَلَكِنَّهُمْ خَالَفوا كُلَّ قِيَاسٍ، وَخَرَجُوا عَلَى كُلِّ مَنْطِقٍ سَدِيدٍ !!! لَقَدْ مَـرُّوا بِـ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ([[36]](#footnote-35)) !!! ))([[37]](#footnote-36))..

(( مَا مَعنَى هَذَا الطَّلَبَ مِنْ هؤُلاءِ ؟!! هَؤُلاءِ الَّذِينَ جَاهَدَ مُوسَى مِنْ أجْلِ أنْ يُحَرِّرَهُمْ مِنْ فِرْعَونَ عَلَى أسَاسِ رِسَالَةِ اللهِ ، وَكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ؛ لِيَكُونُوا القَاعِدَةَ القَوِيَّةَ لِحَرَكَةِ الرِّسَالَةِ المُمْتَدَّةِ نَحْوَ تَحْرِيرِ المُجْتَمَعِ كُلِّهِ.. فَنَحْنُ نَعلَمُ أنَّ جِهَادَ مُوسَى  لَمْ يَنْدَفِعْ مِنْ مَوْقِعٍ عَائِلِيٍّ، أوْ قَوْمِيٍّ.. بَـلِ ٱرتَكَزَ عَلَى المَوْقِعِ الرِّسَالِيِّ الَّذِي يَجِدُ فِي المُستَضْعَفِينَ قُوَّةً صَالِحَةً لِلتَّحَرُّكِ؛ مِنْ أجْلِ قُرْبِهِمْ لِلرُّوحِ الثَّوْرِيَّةِ فِي بِنَاءِ المُستَقْبَلِ الجَدِيدِ .. وَيَجِدُ - إلَى جَانِبِ ذَلِكَ - فِي بَنِي إسْرَائِيلَ - آنَذَاكَ - جَمَاعَةً قَرِيبَةَ الصِّلَةِ بِالإيمَانِ، وَبِمَا يُمَثِّلُهُ مِنْ قِيَمٍ؛ لأنَّهُمْ يُشَكِّلُونَ الطَّرَفَ المُضطَهَدَ المُعَارِضَ لِلْعَقْلِيَّةِ الفِرْعَونِيَّةِ، وَمَا تُمَثِّلُهُ مِنِ ٱنْحِرَافٍ !! ))([[38]](#footnote-37))..

وَلَكِنَّهُمْ - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ - جَهِلُوُا حَجْمَ المَكَانَةِ الَّتِي كَانَتْ بِٱنْتِظَارِهِمْ، وَالدَّوْرِ الَّذِي أُنِيطَ بِهِمْ، وَالمَسْؤُولِيَّةِ الَّتِي أُوكِلَتْ إلَيْهِمْ.. وَجَعَلُوا شُكرَهُمْ للهِ  مِنْ ذَاكَ الظُّلْمِ وَالحَيْفِ الَّذِي طَالَ أجْيَالاً مِنْهُمْ - مِنَ القَتلِ والاستِحْياءِ وَالاستِعْبَادِ وَالذُّلِّ وَالهَوَانِ وَالمَسكَنَةِ وَهُمْ لمَّا تجِفُّ أرجُلُهُمْ مِنْ ماءِ البَحْرِ بعدُ - أنْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ([[39]](#footnote-38)) !!! وَقَدْ رَأَوا مِنْ آيَاتِ اللهِ وَآلائِهِ ، وَعَظِيمِ جَبَرُوتِهِ وَسُلْطانِهِ وَكِبْرِيَائِهِ مَا رَأَوا ([[40]](#footnote-39)) !! وَهُمْ إنَّمَا طَلَبُوا مِنْ مُوسَى  مَا طَلَبُوا؛ (( حَنِيناً مِنْهم إلَى مَا ألِفُوا فِي مِصْر مِنْ عِبَادةِ آلِهَةِ المَصْرِييِّنَ وَتَماثِيلِها وأَنْصَابِهَا وَقُبُورِهَا !!

فَعُلِمَ بِهَذَا الطَّلَبِ أنَّهُمْ لَمْ يَكُونوا فَهِمُوا التَّوحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى كَمَا فهِمَهُ مَنْ آمَنَ مِنْ سَحَرةِ المَصْرِييِّنَ... وَإنَّمَـا ٱتَّبَعُوا مُوسَى لإنْقَاذِهِ إيَّاهُمْ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَونَ وَتَعبِيدِهِ لَهُمْ، لا لِفَهْمِهم حَقِيقَةَ التَّوحِيدِ بِالآيَـاتِ الدَّالَّةِ عَلَيهِ !! ))([[41]](#footnote-40)).. كَمَا دَلَّ هَذَا الطَّلَبُ دِلالَةً وَاضِحَةً (( عَلَى فَسَادِ عُقُولِهِمْ وَبُطْلانُهَا، وَجَهْلِهِمْ !! ))([[42]](#footnote-41)).. فَـ(( لَمْ تَكُنْ رِحْلَتُهُمْ مَعَ مُوسَى  رِحْلَةَ إيمَانٍ يَبْحَثُ عَنِ الحَقِيقَةِ.. بَـلْ كَانَتْ رِحْلَةَ ٱضطِهَادٍ يَبْحَثُ عَنِ الخَلاصِ !! كَانَ الإيمَانُ لَهُمْ وَاجِهَةً - مُجَرَّدَ وَاجِهَةٍ - وَكَانَتِ الرِّسَالَةُ وَسِيلَةً - مُجَرَّدَ وَسِيلَةٍ - لِلوُصُولِ إلَى الحُرِّيَّةِ !! وَكَانَ مُوسَى  نَبِيَّاً؛ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَرَّكُونَ مَعَهُ مِنْ مَوْقِعِ القَائِدِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ أنْ يَرْبَحَ المَعْرَكَةَ ضِدَّ العَدُوِّ، لا مِنْ مَوْقِعِ الرَّسُولِ الَّذِي يُرِيدُ أنْ يُحَقِّقَ مِنْ خِلالِهِمْ - فِي الانتِصَارِ عَلَى العَدُوِّ المُتَألِّهِ الطَّاغِي - أهْدَافَ رِسَالَتِهِ فِي تَغْيِيرِ الحَيَاةِ وَالإنْسَانِ عَلَى أسَاسِ وَحْيِ اللهِ !!! كَانُوا يَشْعُرُونَ - فِيمَا يَبْدُو - أنَّ النُّبُوَّةَ سِلاحٌ فِي المَعْرَكَةِ ضِدَّ فِرْعَوْنَ، لا حَقِيقَةٌ إلهِيَّةٌ فِي الحَيَاةِ ضِدَّ كُلِّ مَا هُوَ زَيْفٌ فِي الفِكْرِ، وَفِي الوَاقِـعِ !! ))([[43]](#footnote-42))..

(( وَهَذَا القَولُ مِنْ قَوْمِ مُوسَى هُو قِمَّةُ الغَبَاءِ ؛ كأنَّ الإلهَ بِالنِّسبَةِ لَهُمْ مَجْهُولٌ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّه قَدْ أسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِـرَةِ وَالبَاطِنَةِ الكَثِيرَ .. وَهذِهِ أَولُ خَيْبَةٍ !! وَهُم يُـرِيدُونَ أنْ يَكُونَ الإلهُ مَجْعُولاً بِرَغْمِ أنَّ الإِلهَ بِكَمَالاتِه وَطَلاقَةِ قُدْرَتِهِ جَاعِلٌ... وَهَذَا مَا يَجْعلُنا نَفْهمُ أنَّ عُقُولَهُمْ لَمْ تَستَوعِبْ حَقِيقةَ الإيمانِ ))([[44]](#footnote-43)).. إذْ (( لَيسَ هُنَاكَ تَفْسِيرٌ لِهَذَا الطَّلَبِ إلاَّ الطُّفُولَة الفِكْرِيَّة الَّتِي تُفَكِّرُ بِعَقلِيَّةِ الأطْفَالِ عِنْدَمَا يَطْلُبُونَ مِنْ آبَائِهِمْ أنْ يَشْتَروا لَهُمْ لُعْبَةً مِثلَ لُعْبَةِ أقْرَانِهِمْ مِنَ الأطْفَالِ الآخَرِينَ !! فَرُبَّمَا لَمْ يُشَاهِدْ قَوْمُ مُوسَى الأصْنَامَ الحَجَرِيَّةَ فِي بِلادِهِمْ مِنْ قَبلُ.. حَتَّى إذَا شَاهَدُوهَا؛ كَانَتِ الصُّورَةُ مُشَوِّقَةً لَهُمْ فِي أنْ يَكُونَ لَهُمْ إلَهٌ يَلْمَسُونَهُ وَيَـرَوْنَهُ فِي لُعْبَةٍ عِبَادِيَّةٍ حَالِمَةٍ !!! أوْ أنَّهُمْ تَذَكَّرُوا أصْنَامَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعبُدُونَهَا فِي ظِلِّ فِرْعَونَ عِنْدَمَا رَأوا أصْنَامَ الآخَرِينَ !!! ))([[45]](#footnote-44)).. (( فَالمَقَامُ الطَّوِيلُ الَّذِي أقَامُوهُ فِي مِصْرَ هَـزَعَ - أيْ كَسَرَ - فِيهِمُ الوَحْدَانِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ دِينَ آبَائِهِمْ.. وَإنَّهُمْ وَإنْ كَانُوا لَمْ يَعبُدُوا مَا عَبَدَ المصْرِيُّونَ؛ فَقَدْ لانَتْ عَقِيدَتُهُمْ، وَصَارُوا مُتَرَدِّدِينَ لا يُؤمِنُونَ بِشَيءٍ !! وَلِذَلِكَ قَالُوا مَا قَالُوا؛ لأنَّهُ لَم يَثْبُتْ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوحِيدُ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى ، وَصَارُوا كَالأعْرَابِ الَّذِينَ قَالُوا لِرِسُولِ اللهِ aٍ » آمَنَّا...))([[46]](#footnote-45))..

 قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ  ([[47]](#footnote-46)) .. والجهلُ الذي أطلَقَهُ مُوسَى  على بَنِي إسرائيلَ [آلِهِ وقومِهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ] إنَّما هُوَ (( مِنَ الجَهَالةِ ضِدَّ المَعْرِفةِ، والجَهلُ مِنَ الحَمَاقةِ ضِدَّ العَقلِ؛ فَمَـا يَنْبعِثُ مثلُ هذا القولِ إلاَّ مِنَ الجَهَالةِ والحَمَقِ إلى أبعدِ الحُدود))([[48]](#footnote-47)).. وَهَـا هُمْ أُولاءِ على طَبِيعتِهِم تِلكَ!! ها هُمْ أُولاءِ ما يَكَادُونَ يمُرُّونَ على  قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ([[49]](#footnote-48))؛ حتَّى يَنْسَوا تَعْليمَ أكثرِ مِن عِشْرِينَ عاماً مُنذُ أنْ جاءَهُم مُوسَى  بِالتَّوحيدِ .. ))([[50]](#footnote-49))؛ (( وهذا ما يجعلُنا نَفْهمُ أنَّ عُقولَهم لمْ تستوعِبْ حقيقةَ الإيمانِ؛ ولِذلِكَ يقولُ لهم موسى :  إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ([[51]](#footnote-50))، ولمْ يقُلْ: «لا تَعلَمُونَ» بَـلْ قالَ:  تَجْهَلُونَ ؛ لأنَّ هُناكَ فارِقاً بينَ عَدَمِ العِلْمِ بِالشَّيءِ ، وبينَ الجَهْلِ بِالشَّيءِ.. فَعَدمُ العِلْمِ يَعْني أنَّ الذِّهنَ قدْ يكونُ خالياً مِنْ أيِّ قضيَّةٍ يعتقِدُها.. أمَّا الجهلُ فهُو يعني أنْ تعلمَ مُناقِضاً لِلقضيَّةِ..

إذنْ؛ فهُناكِ قضيَّةٌ يعتقِدُها الجاهِلُ، ولكِنَّها غيرُ واقِعيةٍ؛ أمَّا الذي لا يعلمُ فليسَ في بالِهِ قضيَّةٌ.. وَحِينَ تأتِي لهُ القضيةُ يقتنِعُ بِها، ولا يحتاجُ ذلِكَ إلى عَمَليةٍ عقليَّةٍ واحِدةٍ.. مثـلُ الأُمِّيِّ - مَثَلاً - الذي لا يعلمُ؛ لأنَّ ذِهنَهُ خالٍ مِنْ قضيةٍ.. أمَّا الذي يعلمُ قضيَّةً مُخالِفةً فهُو يحتاجُ مِنَ الرَّسُولِ إلى عمليتينِ عقليتينِ: الأُولى أنْ يُخرِجَ ما في نفسِهِ مِنْ قضيَّةِ الجهلِ، والثَّانية أنْ يُعطِيَ لهُ القضِيَّةَ الجديدةَ.. إنَّ الذي يُـرْهِقُ العالَمَ هُمُ الجُهَلاءُ لا الأُمِّيونَ؛ لأنَّ الأُمِّيَّ حِينَ تُعطَى لهُ المَعْلُومةُ فليسَ عِندهُ ما يُناقِضُها.. لكِنِ الجاهِلُ عِندَهُ ما يُناقِضُها ويُخالِفُ الواقِعَ ))([[52]](#footnote-51)).. (( والجَدِيرُ بِالذَّكْرِ أنَّنَا نَقْرَأُ كَلامَ مُوسَى  فِي الآيَةِ الحَاضِرَةِ كَيْفَ يَقُولُ لَهُمْ: أنْتُمْ جَمَاعَةٌ غَارِقَةٌ فِي الجَهْلِ بِصُورَةٍ دَائِمَةٍ؛ لأنَّ  تَجْهَلُونَ  فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وَيَدُلُّ غَالِبَاً عَلَى الاستِمْرَارِيَّةِ.. وَبِخَاصَّةٍ أنَّ مُتَعَلِّقَ الجَهْلِ لَمْ يُبَيَّنْ فِي الآيَةِ !! وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عُمُومِيَّةِ المَجْهُولِ وَشُمُولِيَّتِهِ !!! ))([[53]](#footnote-52))..

(( وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ مَأسَاةَ مُوسَى  مَعَ قَومِهِ، وَمَدَى مَا كَانَ يُحِسُّهُ مِنْ خَيبَةِ الأمَلِ بَعْدَ الصِّرَاعِ العَنِيفِ الَّذِي خَاضَهُ ضِدَّ فِرْعَونَ، وَالمَوَاقِفِ الهَائِلَةِ الَّتِي وَاجَهَهَا، مَعَ مُلاحَقَةِ القَومِ الكَافِرِينَ لَهُ.. وَمِنْ خَوْضِهِ البَحْرَ بِبَنِي إسْرَائِيلَ فِي مُعْجِزَةٍ إلهِيَّةٍ عَظِيمَةٍ !! فَأيُّ طَلَبٍ هَذَا الطَّلَبُ ؟!! فَأيْـنَ الرِّسَالَةُ ؟!! وَأيْـنَ التَّوْحِيدُ ؟!! وَمَاذَا عَنْ إلهِ مُوسَى الَّذِي كَانَتِ الدَّعْوَةُ إلَى تَوحِيدِهِ سَبَباً فِي كُلِّ مَا حَدَثَ ؟!! ألَمْ تَكُنْ تِلكَ المَعَاجِزُ وَالخَوَارِقُ كَافِيَةً فِي تَركِيزِ هَذَا الإيمانَ - كَمَا آمَنَ السَّحَرَةُ فِي مَوْقِفِ التَّضْحِيَةِ الرَّائِعَةِ مِنْ أجْلِ إعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ - والانْسِجَامِ مَعَ رِسَالِتِهِ ؟؟!! ))([[54]](#footnote-53)).. وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ (( َلَمْ يَفْقِدْ مُوسَى  هُدُوءَ الرَّسُولِ - فَقَدْ كَانَ مِزَاجُ الرِّسَالَةِ هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ لَهُ مَشَاعِرَهُ - وَلا مِزَاجَ الإنْسَانِ العَادِيِّ؛ فَكَانَ جَوَابُهُ مَزِيجَاً مِنْ عُنْفِ الحُكْمِ عَلَى عَبَدَةِ الأصْنَامِ بِالهَلاكِ، وَالضَّلالِ، وَبُطْلانِ العَقِيدَةِ وَالعِبَادَةِ .. وَمِنَ العِقَابِ المَرِيـرِ لِقَوْمِهِ، والتَّذْكِيرِ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ؛ حَيْثُ أخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الاضْطِهَادِ وَالعُبُودِيَّةِ إلَى نُورِ الطَّمْأنِينَةِ وَالحُرِّيَّةِ.. والإعْلانِ لَهُمْ بِأنَّ قَضِيَّةَ الإلهِ لَيْسَتْ مَوْضِعَاً يُمَارِسُ فِيهِ الإنْسَانُ دَوْرَهُ فِي الاخْتِيَارِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ؛ بَـلْ هُوَ الحَقِيقَةُ الَّتِي تَهِزُّ أعْمَاقَ الإنْسَانِ، وَتُنِيرُ حَيَاتَهُ لِتَفْرِضَ نَفْسَهَا عَلَى وَعْيِهِ وَوَعْيِ الكَوْنِ كُلِّهِ !! ))([[55]](#footnote-54))..

إنَّ عمليَّةَ ٱستصلاحِ نُفوسِ بَنِي إسرائيلَ منْ ذُلِّ الطَّاغوتِ الفِرْعَونيِّ هِيَ التي سَيُواجِهُها مُوسَى  في هذِهِ الحلقةِ بعدَ خُروجِهِ بِبَنِي إسرائيلَ، وتجاوُزِهِ بِهِمُ البحرَ، وهِيَ تُواجِهُ الحُرِّيةَ بِكُلِّ رَوَاسِبِ الذُّلِّ، وتُواجِهُ الرِّسالةَ بِكُلِّ رواسِبِ الجاهِليَّةِ، وتواجِهُ مُوسَى  بِكُلِّ الالتِواءاتِ والانحِرافاتِ والجَهالاتِ التي ترسَّبتْ فيها على مرِّ الزَّمنِ الطَّويلِ.. لقدْ عانى مِنهمْ مُوسَى  مُعاناةَ كُلِّ صاحِبِ دعوةٍ يُواجِهُ نُفوساً طالَ عليها الأمَدُ وهِيَ تستمرئُ حياةَ الذُّلِّ تحتَ قَهْرِ الطَّاغُوتِ، وبِخاصَّةٍ إذا كانتْ هذِهِ النُّفوسُ قدْ عَرَفتِ العَقِيدةَ التي يَدْعُوها إلَيْها، ثُمَّ طالَ عليها الأمَدُ فَبَهَتَتْ صُورتُها، وَعادتْ شَكْلاً لا رُوحَ فيهِ !! إنَّ جُهدَ صاحِبِ الدعوةِ - في مثلِ هذِهِ الحالِ - لَهو جُهدٌ مُضاعَفٌ؛ ومِنْ ثَمَّ يجِبُ أنْ يكونَ صبرُهُ مُضاعَفاً كذلكَ.. يجِبُ أنْ يصبِرَ على الالتِواءاتِ، والانحِرافاتِ، وثِقَلِ الطَّبائِعِ، وتفاهةِ الاهتِماماتِ.. ويجِبُ أنْ يصبِرَ على الانتِكاسِ الذي يُفاجِئُهُ في هذِهِ النُّفُوسِ بعدَ كُلِّ مرحلةٍ، والاندِفاعِ إلى الجاهِليةِ عِندَ أوَّلِ بادِرةٍ.. ولعلَّ هذا جانِبٌ مِنْ حِكمةِ اللهِ  في عَرْضِ قِصَّةِ بني إسرائيلِ على الأُمةِ المُسلِمةِ في هذِهِ الصُّورةِ المُفصَّلةِ المُكرَّرةِ لِترى فيها هذِهِ التجرِبةَ... وإنَّ فيها زاداً لأصحابِ الدَّعوةِ إلى اللهِ في كُلِّ جيلٍ([[56]](#footnote-55))..

(( إنَّ مُوسَى  لا يُواجِهُ اليومَ - يَومَ خُرُوجِهِ بِبَنِي إسـرَائِيلَ - طاغوتَ فِرْعَونَ وملأِهِ .. فقدِ ٱنْتَهتِ المعركةُ معَ الطَّاغوتِ، ولكِنَّهُ يُواجِهُ معركةً أُخرى لعلَّها أشدُّ وأقسى وأطولُ أمداً.. إنَّهُ يُواجِهُ معركةً معَ النَّفسِ البشريَّةِ !! يُواجُهها معَ رَوَاسِبِ الجاهِليَّةِ في هذِهِ النَّفسِ، ويُواجِها معَ رواسِبِ الذُّلِّ الذي أفسدَ طبيعةَ بني إسرائيلَ، وملأها بِالالتِواءِ منْ ناحية، وبِالقسوةِ منْ ناحيةٍ، وبِالجُبنِ منْ ناحيةٍ، وبِالضَّعفِ عنِ التبِعاتِ منْ ناحيةٍ.. وتركَها مُهلهلةً بينَ هذِهِ النَّزعاتِ جميعاً؛ فليسَ أفسدَ لِلنَّفسِ البشريةِ منَ الذُّلِّ والخُضوعِ لِلطُّغيانِ طويلاً، ومِنَ الحياةِ في ظِلِّ الإرهابِ والخوفِ والتَّخفِّي والالتِواءِ لِتفادِي الأخطارِ والعذابِ، والحَرَكةِ في الظَّلامِ معَ الذُّعرِ الدَّائِمِ والتَّوقُّعِ الدَّائِمِ لِلبلاءِ ..

وَلَقدْ عاشَ بَنُو إسرائيلَ في هذا العَذَابِ ساءَهُم؛ فإذا فَتَرَ هذا النَّوعُ البشِعُ مِنَ الإرهابِ الوحشِيِّ عاشُوا حياةَ الذُّلِّ والسُّخرةِ والمُطاردةِ على كُلِّ حال.. وَفَسَدتْ نُفُوسُهم، وَفَسَدتْ طَبِيعتُهُم، وٱلتوتْ فِطَرُهُم، وٱنحرفتْ تَصَوُّراتُهم، وٱمتلأتْ نُفوسُهُم بِالجُبنِ والذُّلِّ مِنْ جانِبٍ، وبِالحِقدِ والقسوةِ مِنَ الجانِبِ الآخَرِ.. وهُما جانِبانِ مُتلازِمانِ في النَّفسِ البشَرِيةِ حيثُما تعرَّضتْ طويلاً لِلإرهابِ والطُّغيانِ ))([[57]](#footnote-56))..

تِلكَ هِيَ التَّركيبةُ الدَّاخِليةِ لِلنَّفسِ التي يحمِلُها الإسرائيليُّ مِنْ أصحابِ مُوسَى ، والتي خلَّفتها سَنَواتٌ مِنَ الذُّلِّ والقهرِ والاستِعبادِ.. (( إنَّها العَدْوى تُصيبُ الأرْوَاحَ كَمَا تُصيبُ الأجسامَ !! ولكِنَّها لا تُصيبُها حتَّى يكونَ لَدَيْها الاستِعدادُ والتَّهيؤُ والقابِليةُ.. وطبيعةُ بَنِي إسرائيلَ - كَمَا عَرَضَها القُرآنُ الكريمُ عَرْضَاً صادِقاً دَقِيقاً أَمِيناً في شتَّى المُناسَباتِ - طَبِيعةُ مُخلْخلةُ العَزِيمةِ، ضعيفةُ الرُّوحِ، ما تكادُ تَهْتَدِي حتَّى تضِلَّ، وما تكادُ تَرتفعُ حتَّى تَنْحطَّ، وما تكادُ تَمْضي في الطَّريقِ المُستقيمِ حتَّى تَرْتكِسَ وَتْنتكِسَ.. ذلِكَ إلى غِلَظٍ في الكَبِدِ، وَتَصَلُّبٍ عَنِ الحقَّ، وَقَسَاوةٍ في الحِسِّ والشُّعور!!

الموقف الثالث / مَا أنِ ٱستقرَّ بِهِم مُوسَى  على مَقْرُبةٍ مِنْ الأرضِ المُقَدَّسةِ التي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ حتَّى ٱستَخلَفَ عليهِمْ أخاهُ هارُونَ ، وَذَهبَ هُو لِمِيقاتِ ربِّهِ ثلاثينَ ليلةً ؛ ليأتيَهم - بعدَ ذلك - بألواحِ التوراةِ  وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ([[58]](#footnote-57)) ، فَمَاذا - يا تُـرَى - فَعَلوا أيَّام غيبتِهِ ؟؟ هلْ دَعوُا اللهَ لَهُ بالسلامةِ والتَّوفِيقِ والسَّدادِ ، وأنْ يُعيدَه إليهِمْ وَيَرحَمَهمْ بِوُجُودِهِ بينَ ظَهْرانِيهِم ؟؟ كلاَّ.. بَـلْ مَا أنْ أتمَّ اللهُ المِيقاتَ بِعَشْرِ لَيالٍ أُخُرَ؛ حتَّى ٱتَّخَذوا خِلالَ تِلكَ اللَّيالي العَشْرِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ([[59]](#footnote-58)).. (( وَهَذِهِ الآيةُ تُعزِّزُ... مِنْ أنَّ بَنِي إسْرَائيلَ لا يثبُتونَ إلاَّ على مَبْدأِ الشَّهَواتِ والأهْواءِ إنْ صحَّ أنْ تكُونَ الأهواءُ مَبْدأً !! ))([[60]](#footnote-59)).. كانَ هذا هُو مَوقفُهُم أمَامَ بارِئِهمْ، وذا هُوَ صَنِيعُهُم لِقاءَ مِنَنِهِ وأفْضَالِهِ وإحسانِهِ إليهِم، ورأْفَتِهِ وألطافِهِ بهم([[61]](#footnote-60)) !!!

فَمَا هُوَ مَوقفُهُم - يا تُـرَى - تُجاهَ دُعاةِ الحقِّ والخَيْرِ فيهِمْ ، وَلَمْ يكُنْ سِوَى هَارونَ  ؟؟!! يَقُصُّ هَارُونُ بنفسِهِ لأَخيهِ قِصَّتَهُ معهُم فيما يَرْويهِ عنهُ ذُو الجلالِ  ، إذْ يقولُ:  ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ([[62]](#footnote-61)) !!! ولْنتأمَّلْ ما وَصَفهمْ بِهِ هارونُ : «الأعداء» و«القَومَ الظَّالِمِينَ» !!! فأيُّ قَوْمٍ هؤلاءِ ؟؟! وأيُّ أنْصارٍ، وأيُّ أتباع ؟!!

ولمَّا ٱختارَ مُوسَى مِنْ قومِهِ سَبْعينَ رَجُلاً منْ خلَّصِ القَوْمِ لِلتَّوبةِ والاعتِذَارِ لَهُ  عمَّا بَدَرَ مِنْ سُفهائِهِمْ؛ أَتَى القَومُ بِمَا أَتَى بِهِ السُّفهاءُ ؛ إذْ قالوا لَهُ :  لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ([[63]](#footnote-62)) !! فَـ(( بَعدَ أنْ تابَ اللهُ على قَوْمِ مُوسَى بَعدَ عِبادتِهِمْ لِلعِجلِ.. عادُوا مرةُ أُخرى إلى عِنادِهِمْ ومادِّيتِهِمْ؛ فَهُم كانُوا يُـرِيدُونَ إلهاً مادِّياً.. إلهاً يَـرَونَهُ ))([[64]](#footnote-63)).. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ فَـ(( بَعْدَ أنْ ذَكَّرَهُمْ  بِالنِّعَمِ الَّتِي أفَاضَهَا عَلَيْهِمْ؛ بَيَّنَ لَونَـاً مِنْ ألْوَانِ طُغْيَانِ اليَهُودِ وَجُحُودِهِمْ، وَتَبْدِيلِهِمْ لأوَامِرِ اللهِ !! وَهُمْ مَعَ الكُفْرِ وَالعِصْيَانِ يُعَامَلُونَ بِاللُّطْفِ وَالإحْسَانِ.. فَمَا أقْبَحَهَمْ مِنْ أُمَّـةٍ !! وَمَا أخْزَاهُمْ حِينَ طَلَبُوا مِنْ نَبِيِّهِمْ رُؤْيَةَ اللهِ عَلانِيَةً وَجِهَارَاً !! ))([[65]](#footnote-64))..

الموقف الرابع / ولمَّا سارَ بهِم موسى  - بعدَ ذلك - تِلقاءَ الأرضِ المقدَّسةِ التي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ وأمرهُم بدُخولِها  قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ([[66]](#footnote-65)) !!! (( هَكَذَا كَانَ حَالُ بَنِي إسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى.. يَتَمَرَّدُونَ ويُعَانِدُونَ؛ وَسَوطُ العَذَابِ يُصَبُّ عَلَيْهِمْ صَبَّاً.. فَأُصِيبُوا بِالأوبِئَةِ وَأنْوَاعِ الأمْرَاضِ، وَسُلِّطَتْ عَلَيْهِمْ هَوامُّ الأرْضِ وَحَشَرَاتُهَا حَتَّى فَتَكَتْ بِالعَدَدِ العَدِيدِ ، وَالخَلْقِ الكَثِير !! ))([[67]](#footnote-66)).. (( وَهَذَا القَولُ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى مُنتَهَى الجَفَاءِ وَالبُعْدِ عَنِ الأدَبِ !! وَلَيْسَ هَذَا بِالغَرِيبِ مِنْ أمثَالِ هَؤُلاءِ الَّذِينَ عَبَدُوا العِجْلَ، وَكَانَ دَأْبَهُمُ الشَّغَبُ مَعَ أنبِيَائِهِمْ... وَقَصَّ القُرآنُ كَثِيرَاً مِنْ فَسَادِ طِبَاعِهِمْ، وَقَسْوَتِهِمْ، وَغِلْظَتِهِمْ ))([[68]](#footnote-67)) !!!

(( إنَّ النِّعمةَ يجِبُ أنْ يُقابِلَها جِهادٌ، وإنَّ تَركَ الجِهادِ - حيثُ فُرِضَ - فُسُوقٌ ))([[69]](#footnote-68)).. يتألَّوْنَ على اللهِ ورسولِهِ (( وكأنَّ دُخولَهُمُ المدينةَ بعدَ خُروجِ الجبَّارينَ مِنَّةٌ مِنهُم على اللهِ ، أوْ أنَّها طاعةٌ يَبتْغَونَ مِنْ وَرَائِها ثواباً مِنْهُ.. والواقِعُ أنَّ هذا التَّفكيرَ مَوْجودٌ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ إنَّهم يتَّبِعونَ الأنبياءَ  فقط فِيمَا يَخْدِمُ شَهواتِهِمُ العاجِلةَ، ثُمَّ يَعتبِرونَ ذلِكَ عَمَلاً عَظِيماً ))([[70]](#footnote-69))..

كانَ هذا هُوَ موقفُهُمْ مَعَ نبيِّهم، وتلكَ هِيَ نُصرتُهم وَمُؤازرُتُهم لهُ، إذْ كانوا يَكثُرُونَ عِنْدَ الطَّمعِ، ويقِلُّونَ عِندَ الفزعِ، وذلك إجلالُُهُم وتوقيرُهم لهُ حَيْثُ يجهَرونَ له بالقولِ كَجَهْرِ بَعْضِهِم لِبَعْضٍ بِقَولِهم «يَا مُوسَى»، وَلَمْ يكنْ مُتَداولاً - وقدْ لَمْ يكنْ مَعْروفاً لَدِيهِم بالمرَّةِ - نِداءُ «يا نَبِيَّ اللهِ» ، أو «يا رَسُولَ الله» (( هَكَذا دُونَ أنْ يَصِفوهُ بِصِفَةِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ التي أكرمَهُ اللهُ بِها ))([[71]](#footnote-70)).. حَيْثُ (( سَمَّوْهُ - كَمَا تَـرَى - بِٱسْمِهِ؛ جَفَاءً وَغِلْظَةً.. ٱعتِمَادَاً عَلَى مَا عَمَّهُمْ مِنْ بِـرِّهِ وَحِلْمِهِ، غَيْرَ مُتَأدِّبِينَ بِمَا بَهَـرَهُمْ مِنْ جَلالَةِ حَظِّهِ مِنَ اللهِ !! ))([[72]](#footnote-71))..  وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ([[73]](#footnote-72))..

وَلَمْ يَستجِبْ لِنداءِ الرَّسُولِ سِوَى رَجُلَينِ  مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا([[74]](#footnote-73)) !! (( رجُلانِ فقطْ مِنْ أُمَّةِ اليَهُودِ أظهَرَا صِدقَ الإيمانِ، وعزمَ اليَقِينِ، فَنَصحَا وأخلَصَا للهِ في نُصحِهِما ))([[75]](#footnote-74)) !! وَمَا عَسَاهُ أنْ يُغنيَ موقفُ رَجُلينِ ٱثنينِ فقط مِنْ مَجْموعِ أُمةٍ في قَضِيةٍ مِنْ شأْنِها أنْ تُغَيِّرَ مَجْرى التاريخِ بأنْ تَذْهبَ بأُمةٍ، وتأتِيَ بأُخْرَى مَكَانَها ؟!! لِنَستمِعْ إلى ما قالهُ الرَّجُلانِ، وما قُوبِلا بِهِ مِنْ ردِّ قومِهم .. قالَ الرَّجُلانِ  ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ([[76]](#footnote-75)).. فَتَوجَّه القومُ إليهِما وإلى نبيِّهم  فَـــقَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ([[77]](#footnote-76)) !!!

جَوَابٌ نهائيٌّ ثابِتٌ وَجَازِمٌ، تَملؤُهُ صَلافةٌ وَتَعنُّتٌ وٱسْتِكبارٌ، وهُو يُمثِّلُ (( صُورةً حيَّةً مِنْ صُوَرِ هذا الشَّعْبِ المُنحرِفِ مِنْ بني إسرائيلَ الذينَ حَمَلوا في داخِلِهِمُ العُبُودِيَّةَ الطويلةَ التي عاشَتْ في أعماقِهِم، فَلَمْ يَتَحرَّروا مِنها فِيمَا جاءَهم بِهِ مُوسَى  مِنْ قِيمِ الحُرِّيةِ المُتمثِّلةِ فِي تَوْحِيدِ اللهِ ، والكُفرِ بِكُلِّ الطُّغاةِ والجَبَابِرةِ مِنْ آلِهةِ البَشَرِ، والشُّعُورِ بِالمَعْنى الإنسانيِّ الحُرِّ لِوُجودِهِم... وبدأوا يَتَمرَّدونَ عَلَيهِ في أكثرِ مِنْ موقِفٍ، ورُبَّما كانُوا يُفكِّرونَ بِأنَّ عليهِ أنْ يتَّخِذَ لِنفسِهِ شخصيَّةَ فِرْعَونَ لِيحكُمَهُم؛ ولكنَّ شخصِيَّةَ الرَّسُولِ لا تَلْتقِي بِشخْصيَّةِ فِرْعَونَ لا مِنْ قَرِيبٍ ولا مِنْ بَعِيدٍ ؛ فإنَّ هُناكَ فرقاً بينَ مَنْ يُريدُ النَّاسَ لِنَفْسِهِ، وبينَ مَنْ يُريدُهُم للهِ ولأنفُسِهِم مِنْ مَوقِعِ صَلاحِهِم !!

كانُوا يُريدونَ سُلطةً تستعبِدُهُم وتفرِضُ عليهِمُ الطَّاعةَ بِالقُوةِ ، ويَعتبِرونَ أنَّ مَعْنى خَلاصِهِم مِنْ فِرْعَونَ هُو أنْ يَعِيشوا حالةَ ٱستِرْخاءٍ وَدَعَةٍ وطمأنينةٍ، بَعِيداً عَنْ كُلِّ أجْواءِ الصِّراعِ ومشاكِلِهِ.. وكانتْ كلِمتُهُمُ الأخيرةُ التي لا تقبلُ نِقاشاً بِأنَّهُم غَيرُ مُلزَمينَ بِطاعتِهِ في القِتالِ؛ أمَّا إذا كانَ مُوسَى  يُحدِّثُهُم عَنِ اللهِ  وَيَملأُ قُلُوبَهُمْ بِالشُّعورِ بِقُوَّةِ اللهِ .. فَلْيذْهَبْ هُو وربُّهُ فلْيُقاتِلا إذا كانا يَرَيانِ القِتالَ لازِماً، ويَرَيانِ المَعْرَكةَ مُنتصِرةً ؛ فتِلكَ هِيَ مَسْؤوليتُهُما لِخِدْمةِ الرِّسالةِ التي إرسلَها اللهُ وَحَملَها مُوسَى!! أمَّا هُم [آلُهُ وأتباعُهُ وجُنُودُهُ] فَلا مَسْؤُوليةَ عَلَيهِم فِي ذلكَ كُلِّهِ ؛ فإنَّهم قاعِدُونَ مُنْتَظِرونَ لِلنَّتائِجِ الإيجابيَّةِ أوِ السَّلْبيةِ ))([[78]](#footnote-77))..

إذْ يَـرَى بَنُو إسْرائيلَ بِـ((ـأنَّ على اللهِ  أنْ يُوفِّرَ لهُمُ النَّصرَ، وأنْ يُقدِّمَهُ إليهِمْ في طَبَقٍ مِنْ ذَهبٍ.. وٱسْتَعْمَلُوا أنواعاً مِنَ التَّأكيدِ اللَّفظيِّ في رَفْضِ دُخُولِهِمُ المدينةَ لِقِتالِ الجبَّارينَ فيها فقالوا: «لَنْ» الدَّالَّةَ على نَفْيِ الأبَدِ ، وأَضَافوا إليها كلِمةَ «أبَداً» لِلدِّلالةِ على أنَّ كُلَّ المُحاولاتِ المَبْذولةَ لإقناعِهِم بِضَرُورَةِ الجِهادِ سَتَذْهبُ سُدىً، وأنَّ الحلَّ الوَحِيدَ هُوَ صُنعُ النَّصرِ، وإعطاؤُهُمْ إيَّاهُ جاهِزاً !!! وهُمْ (( بِهذا جَمَعُوا إلى الجُبنِ والخَوْفِ صِفةَ العَجْزِ والكَسَلِ ))([[79]](#footnote-78)) !!!  فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ([[80]](#footnote-79)) !!!

(( كأنَّ خُلاصةَ قَولِهِمْ لِمُوسَى : لا تُرهِقْ نَفْسَكَ مَعَنا، ووفِّرْ جُهدكَ؛ فَنَحنُ لَنْ نَدْخُلَ هذِهِ الأرضَ... هَكذا بَلَغَ بِهِمُ الخَوْفُ أنْ سَخِرُوا مِنْ مُوسَى وَرَبِّ مُوسَى!!! وَهكَذَا وَصَلَ بِهِمُ ٱلاستِهزاءُ إلى تِلكَ الدَّرَجةِ المُزْرِيةِ ))([[81]](#footnote-80)) !!! (( وَفِي إجَابَتِهِمْ هَذِهِ دَلِيلٌ عَلَى مُنتَهَى الضَّعْفِ، وَخَوَرِ العَزِيمَةِ، وَعَلَى أنَّهُمْ لا يُرِيدُونَ أنْ يَأخُذُوا شَيئَاً بِٱستِعْمَالِ قِوَاهُمُ البَدَنِيَّةِ، وَلا العَقلِيَّةِ، وَلا أنْ يَدْفَعُوا الشَّرَّ عَنْ أنْفُسِهِمْ، وَلا أنْ يَجْلِبُوا لَهَا الخَيْرَ، بَلْ يُرِيدُونَ أنْ يَعِيشُوا بِالخَوَارِقِ وَالآيَاتِ مَا دَامُوا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ !! وَلا شَكَّ أنَّ أُمَّةً كَهَذِهِ لا تَستَحِقُّ أنْ تَتَمَتَّعَ بِنَعِيمِ الاستِقْلالِ، وَتَحيَا حَيَاةَ العِزِّ وَالكَرَامَةِ، وَتَكُونَ ذَاتَ تَصَرُّفٍ مُطْلَقٍ فِي شُؤُونِهَا.. وَمِنْ ثَمَّ لَمْ تَقُمْ لَهَا دَولَةٌ بَعْدُ  وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدَاً  ))([[82]](#footnote-81)).. فيُعلِنُ مُوسَى  عَدَمَ ثِقَتِهِ بِهؤُلاءِ ، وَعَدَمَ ٱعتِمادِهِ عَلَيْهِمْ فِي الأُمُورِ المَصِيريَّةِ الحاسِمَةِ، وَلا حتَّى السَّبعِينَ رَجُلاً الذينَ كانُوا يُمثِّلونَ خَيَارَ القَومِ، وهُمُ ٱلذِّيـنَ ٱختارَهُمْ  لِمِيقات ربِّهم!! بَـلْ وَلا حتَّى الرَّجُلَينِ الذَّينِ قالا لِقومِهِما  ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ([[83]](#footnote-82)) !!!

(( فما أقبحَ هذا الجوابَ !! وما أجملَ ما أجابَ بِهِ أصحابُ نبيِّنا و رسولَ اللهِ يومَ بدرٍ.. لمَّا أرادَ النَّبِيُّ » الخُرُوجَ لِبَدْرٍ ٱسْتَشَارَ النَّاسَ.. فَقَـامَ أبُو بَكْرٍ  فقالَ فأحْسَنَ.. ثُـمَّ قامَ عُمَرُ  كذلكَ .. ثُمَّ المِقدادُ  فَقَالَ: «والذي بَعثَكَ بِالحقِّ، لوْ سَلَكْتَ بِنا بـركَ الغِمادِ لَجَاهدْنا مَعَكَ مِنْ دونِهِ، ولا نقولُ لكَ كَمَا قالتْ بنُو إسرائيلَ لِمُوسَى :  فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ([[84]](#footnote-83)).. ولكنْ نقولُ: إنَّـا مَعَكُما مُقاتِلونَ»..

فَقَالَ »: أشِيرُوا عليَّ فَعَرَفُوا أنَّهُ » يُرِيدُ الأنْصارَ ، وكانَ يتخوَّفُ أنْ لا يُوافِقُوهُ ؛ لأنَّهمْ لمْ يُبايِعُوهُ إلاَّ على نُصرتِهِ مِمَّنْ يَقْصِدُهُ لا أنْ يسيرَ بِهِم إلى العدوِّ.. فقالَ لهُ سعدُ بنُ مُعاذٍ : ٱمْضِ - يا رسولَ اللهِ - لِمَا أُمِـرْتَ بِهِ، ولِمَا شِئْتَ، وصِلْ حِبالَ مَنْ شِئْتَ، وٱقطعْ حِبالَ مَنْ شِئْتَ، وسالِمْ مَنْ شِئْتَ، وعادِ مَنْ شِئْتَ، وخُذْ مِنْ أموالِنَا ما شِئْتَ.. فلَئِنْ سِرْتَ حتَّى تأْتيَ بِركَ الغِمادِ مِنْ ذي يَمَنٍ لَنَسيرَنَّ مَعكَ([[85]](#footnote-84)).. وتهلَّلَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ » وأشْرَقَ، وسرَّهُ ذلِكَ.. وحُقَّ لهُ أنْ يُسَرَّ، ولِعينِهِ أنْ تقرَّ بِما أنعمَ اللهُ  عَلِيهِ بِأصْحابِهِ الأخْيارِ الأطهارِ، آلِهِ الأبْـرارِ، الصَّفوةِ المُخْتَارةِ بعدَ الأنبياءِ ..

وحُقَّ لِمُوسَى  أنْ يأسَفَ وَيَحزنَ وهوَ يُواجِهُ مِنْ قومِهِ كُلَّ هذا الجُحُودِ والخُذلانِ معَ الوَقَاحةِ وَسُوءِ الأدبِ؛ فَلا يملِكُ إلاَّ أنْ يَتَوجَّهَ إلى اللهِ بِكلِماتٍ تَقْطُرُ حُزناً وأسىً  قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ  قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ([[86]](#footnote-85)) ))([[87]](#footnote-86)) !! يَقُولُ سَعِيد حوَّى في «الأساس في التَّفسير» بَعْدَما أوردَ الرِّوايةَ السَّالِفةَ: (( وَمَنْ قارنَ بينَ أصْحابِ مُوسَى ، وأصْحابِ رَسُولِنا ».. عَرَفَ الفَضْلَ لأهِلِهِ.. والحِكْمةُ فِي عُقُوبتِهِم بِالتّيهِ أرْبعِينَ سنةً أنْ يَمُوتَ الجيلُ الذي خَرَجَ مِنْ مِصرَ.. الجيلُ الذي تَربَّى في الذُّلِّ والقَهْرِ وَطَراوةِ العَيْشِ؛ لِكي يَنْشأَ خِلالَها جيلٌ أشَدُّ وأقْسَى، وأقْدرُ على تَحَمُّلِ لأْواءِ الجِهادِ.. ))([[88]](#footnote-87))..

قالَ ٱبنُ كَثِيرٍ في تَفْسِيرِهِ: (( وهذِهِ القِصَّةُ تَضَمَّنتْ تَقْرِيعَ اليَهُودِ، وَبَيَانَ فضائِحِهم، وَمُخَالفتَهِمْ للهِ ولِرَسُولِهِ، ونُكولِهِم عَنْ طاعتِهِما فِيمَا أمراهُمْ بِهِ مِنَ الجهادِ؛ فَضَعُفتْ أنفسُهُم عَنْ مُصابَرةِ الأعداءِ ، وَمُجالدَتِهِم وَمُقاتَلَتِهِم، مَعَ أنَّ بينَ أظهُرِهِم رَسُولَ اللهِ » وَكَلِيمَهُ وَصَفِيَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فِي ذلكَ الزَّمانِ، وَهُوَ يَعِدُهم بالنَّصْرِ والظَّفَرِ بِأعدائِهِم.. هذا مَعَ ما شَاهَدُوا مِنْ فِعلِ اللهِ بِعدوِّهِم فِرْعَونَ مِنَ العذابِ والنَّكالِ والغَرَقِ لهُ ولِجُنُودِهِ في الْيمِّ وهمْ ينظُرُون لتَقَرَّ بِهِ أعينُهُم.. وَمَا بِالعَهْدِ منْ قِدَمٍ.. ثُمَّ ينكلونَ عَنْ مقاتَلةِ أهلِ بلدٍ هِيَ بِالنِّسبةِ إلى دِيارِ مِصْرَ لا تُوَازِي عُشْرَ المِعْشارِ فِي عُدَّةِ أهلِها وَعَدَدِهِم !!

فَظَهَرَتْ قَبَائِحُ صَنِيعِهِم لِلخَاصِّ والعامِّ، وٱفتُضِحوا فَضِيحةً لا يُغطِّيها اللَّيلُ، ولا يستُرُها الذَّيلُ.. هذا وهُم في جَهلِهِم يَعْمَهُونَ، وَفِي غيِّهِم يَتَردَّدونَ، وَهُمُ البُغَضاءُ إلى اللهِ وأعداؤُهُ.. وَيَقُولُونَ مَعَ ذلِكَ: «نَحْنُ أبْنَاءُ اللهِ وأحِبَّاؤُهُ» !!! فقبَّحَ اللهُ وُجوهَهُم التي مَسَخَ مِنْها الخنازيرَ والقُرُودَ، وألزمَهُم لَعنةً تُصَحبُهُم إلى النَّارِ ذاتِ الوَقُودِ ، وَيَقْضِي لَهُم فِيها بِتأْبِيدِ الخُلُودِ.. وقدْ فَعلَ وَلَهُ الحَمدُ فِي جَمِيعِ الوُجُودِ ))([[89]](#footnote-88))..

(( إنَّ نظرةَ النَّاسِ إلى الدِّينِ تختلِفُ ٱختِلافاً يكادُ يَكُونُ مُتناقِضاً، فَبَيْنما يُؤْمِنُ البَعْضُ بِالدِّينِ لِيجِدوا فيهِ بَرْنامَجاً لِلعمَلِ الصَّادِقِ، وأُسلوباً لِلتَّضحيةِ السَّخيَّةِ.. نجِدُ آخَرينَ يُؤمِنونَ بِالدِّينِ وبِالقِيادةِ الدِّينيةِ لِتحمِلَ عنهُم مشاكِلَ الحياةِ، وتقومَ - بَدلاً عنهُم- بِالعمَلِ مِنْ أجلِ حلِّها.. وإذا لمْ تحِلَّ مشاكِلَهُم بِالدِّينِ صَبُّوا عَلَيهِ جامَ غَضَبِهِم، وَكَفَرُوا بِهِ وبِقيادتِهِ !!

إنَّ أخطرَ بَلاءٍ يَنْزِلُ على الأُمةِ اللاَّمسؤولةِ التي تُلقِي بِأعبائِها على كَاهِلِ قِيادَتِها، وَتَتَقاعسُ عَنِ العَمَلِ هُوَ حِرْمانُها مِنْ تِلكَ القِيادةِ ؛ إذْ ينفصِلُ عَنْها قادتُها المُصلِحُونَ بعدَ التأكُّدِ مِنْ أنْ لا رَجَاءَ في إصْلاحِهِم... كَمَا أنَّ جزاءَ كُلِّ أُمَّةٍ لا تتَّبِعُ قيادتَها الرِّساليَّةَ هُو بقاؤُها في مُسْتَنْقعِ الضَّلالةِ والتَّخلُّفِ؛ حتَّى تَعْرِفَ أهميَّةَ القيادةِ، وتعودَ إلى رُشدِها ))([[90]](#footnote-89)) ..

فَمَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ  إلاَّ أنْ يَشْكُوَهُمْ إلى ربِّهِ  قائِلاً: رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ([[91]](#footnote-90)).. وَمَـا كانَ مِنَ اللهِ  إلاَّ أنْ يَسْتجِيبَ دُعاءَ نبيِّهِ ، وأنْ يُكافِئَ جَوَابَهُمْ وصَلَفَهُم وَتَعنُّتَهُم وٱستِكبارَهُمْ بِمَا يَكسِرُ حِدَّتَهُ مِنَ الذُّلِّ والصَغَارِ والهوانِ([[92]](#footnote-91)).. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ([[93]](#footnote-92)).. فَقَدْ وَصَفهُم اللهُ وَرَسُولُهُ بِـ«القَوْمِ الفاسِقِينَ»  وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ([[94]](#footnote-93)) !!

لَقَدْ (( تَريَّثَ مُوسَى بِقومِهِ في آفاقِ العَرِيشِ، وبرِّيةِ سيناءَ، وَصَحارَى النُّقب، وَحَوالي بِئْرِ سبع أرْبَعِينَ حَولاً، يَلْتحِفُ مَعَهُم سَحَائِبَ السَّماء ، وَيَفْترِشُ أدِيمَ الغَبْراءِ ، وَهُو يُحاوِلُ أنْ يُرَبِّيَ مِنْهُم جِيلاً مِثالياً يَسْتنُّ بِسُننِ اللهِ ، ويتخلَّقُ بِأخلاقِ الرِّفـقِ والحَزْمِ والتَّضْحِيةِ وَالاستِقَامةِ والاعتِدالِ؛ فَيَرضَى بِها عَنْ ربِّهِ، وَيَـرْضى ربُّهُ عنهُ .. ثمَّ ماتَ مُوسَى  ولمَّا يبلُغْ مِنْ أُمَّتِهِ هذِهِ الأُمنيةَ ... ))([[95]](#footnote-94))..

وَمِنَ المَوَاقِفِ الأُخْرَى التي تُبيِّنُ مَدَى ٱستجابتِِهِم لِلأوامِرِ الإلهِيَّةِ مَا قَصَّهُ اللهُ  عَنْهُم فِي قَولِهِ:  وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ([[96]](#footnote-95)).. إذْ أنَّهُمْ - بِقَولِهِمْ هَذَا - (( لَمْ يَنْطُقُوا بِـ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؛ وَلَكِنَّ فِعْلَهُمُ ٱقْتَضَاهُ ))([[97]](#footnote-96)).. (( أي: سَمِعنا قَولَكَ، وَعَصَيْنا أمْركَ.. أُمِروا أنْ يَكُونَ سَمَاعُهُمْ سَمَاعَ طاعةٍ؛ فَكَانَ سَمَاعُهم سَمَاعَ عِصْيانٍ!! ))([[98]](#footnote-97)).. (( أيْ أنَّهُم قَبِلُوا المِيثاقَ وَفَهِمُوهُ ، وَلكنَّهُم لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، بَـلْ خالَفُوهُ تعنُّتاً وتأوُّلاً.. وَلَيسَ المُرادُ أنَّهُم نَطَقُوا بَهاتَيْنِ الكَلِمَتِينِ «سَمِعْنَا وَعَصَيْنا» .. بَـلِ المُرادُ أنَّهُم بِمَثابةِ مَنْ قَالَ ذلِكَ ))([[99]](#footnote-98)).. (( أيْ أنَّهُمْ قَالُوا: «سَمِعْنَا» وَقُلُوبُهُمْ جَافِيَةٌ مُعْرِضَةٌ كَأنَّهَا تَنْطُقُ بِحَالِهِمْ، وَهُوَ «عَصَيْنَا»!!! فَكَأنَّهُمْ سَمِعُوا وَهُمْ عَلَى نِيَّةِ العِصْيَانِ؛ فَقُلُوبُهُمْ جَافِيَةٌ عَنِ الاتِّعَاظِ بِمَا يَسْمَعُونَ ))([[100]](#footnote-99)) !!

يَقُولُ سيد قطبِ فِي ظِلالِ هذِهِ الآيةِ الكَرِيمةِ: (( إِنَّهُم قَالُوا: سَمِعنا، ولمْ يَقُولُوا: عَصَينا.. فَفِيمَ - إذنْ - حِكايةُ هذا القَولِ عَنْهُم ؟؟ إنَّهُ التَّصوِيرُ الحَيُّ لِلوَاقِعِ الصَّامِتِ كأنَّهُ وَاقِعٌ ناطِقٌ.. لقدْ قالُوا بِأفواهِهِمْ: سَمِعْنا، وَقالُوا بِأعمالِهِم: عَصَينا.. والواقعُ العَمَليُّ هُو الذي يَمْنحُ القَولَ الشَّفَوِيَّ دِلالَتَهُ.. وَهذِهِ الدِّلالةُ أقْوى مِنَ القَولِ المَنْطُوقِ.. وَهذا التَّصوِيرُ الحيُّ لِلواقِعِ يُومِئُ إلى مَبْدأٍ كُليٍّ مِنْ مَبادِئِ الإِسْلام: إنَّه لا قِيمةَ لِقَوْلٍ بِلا عَمَلٍ.. إنَّ العَمَلَ هُوَ ٱلمُعتَبَرُ، أوْ هِيَ الوحْدةُ بَينَ الكَلِمةِ المَنْطُوقةِ والحَرَكَةِ الواقِعَةِ، وَهِيَ مَنَاطُ الحُكْمِ والتَّقْدِير ))([[101]](#footnote-100))..

الموقف الخامس / لَقَدْ دأَبَ قَومُ مُوسَى على التَّعامُلِ بِالأُمُورِ المادِّيةِ المَحْسُوسةِ ؛ ((... وأكثرُ مُعْجِزاتِ بَنِي إسْرائِيلَ كانَتْ حِسِّيةً لِبلادتِهِمْ وقِلَّةِ بَصِيرَتِهِمْ ))([[102]](#footnote-101)) !! كَمَا كَانُوا يُؤمِنُونَ بلُغةِ الأخذِ أكثرَ مِنْ إيمانِهِم بِسِمَةِ العَطَاءِ ، أيْ أنَّهُم كَانُوا - وَكَمَا أسلَفْتُ - يَكثُرُونَ عِندَ الطَّمَعِ، ويقِلُّونَ عِندَ الفَزَعِ !! وَكَانُوا دائِماً يَوَدُّونَ - في قُلوبِهِم وَقَوالِبِهِم - أنَّ غَيرَ ذاتِ الشَّوكةِ تَكُونُ لَهُم.. فإنْ كانتِ الأُولى فنَعَم ونِعِمَّا، وإنْ كانَتِ الثانيةُ فَفِي المسألةِ توقُّفٌ ونقاشٌ ونظرٌ !!! ذلكَ هُوَ مَنْهجُهُم فِي الحَيَاةِ ، وذلِكَ هُو قَانُونُهُم فِي التَّعامُلِ مَعَ الآخَرِينَ، بَـلْ حتَّى مَعَ ربِّهم وَملِيكِهم ، وَمَعَ أنبيائِهِ الكِرامِ ..

وَمِنْ ذلكَ أنْ أشفقَ اللهُ  عَلَيهِم أثْناءَ فَتْرةِ التيهِ فأظلَّهُم مِنْ حَرَارةِ الشَّمسِ المُحرِقةِ في صَحْراءِ سَيناءَ، وأطعمَهم مِنْ أشهى وألذِّ المأكولاتِ لعلَّهم يشكرون، قالَ :  وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ([[103]](#footnote-102)).. فَمَا كانَ شُكرُهُمْ لِهذِهِ النِّعَمِ الجلِيلَةِ إلاَّ أنْ قَالُوا:  يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ ...([[104]](#footnote-103)) !!

(( هَكَذا بِكلِّ وَقَاحةٍ يُنادُونَ نبيَّ اللهِ مُوسَى  بِٱسمِهِ مُجرَّداً عنْ أيِّ كَلِمةٍ تدلُّ على ٱحتِرامِهم لَهُ، وَتَقْدِيرِهِم لِمكانتِهِ !! ))([[105]](#footnote-104)).. إذْ (( سَمَّوْهُ - كَمَا تَـرَى - بِٱسْمِهِ؛ جَفَاءً وَغِلْظَةً.. ٱعتِمَادَاً عَلَى مَا عَمَّهُمْ مِنْ بِـرِّهِ وَحِلْمِهِ، غَيْرَ مُتَأدِّبِينَ بِمَا بَهَـرَهُمْ مِنْ جَلالَةِ حَظِّهِ مِنَ اللهِ !! ))([[106]](#footnote-105)).. يقُولُ مُحمَّد حسين فضل الله في تَعليقِهِ على هذِهِ الآية: (( وذلِكَ هُو سَبِيلُ كُلِّ المُجْتَمعاتِ التي تَعِيشُ لِشَهَواتِها وأطْماعِها؛ فَتَسْتسلِمُ لِكُلِّ القِوى التي تُؤَمِّنُ لَهَا ذلكَ ولوْ على حِسابِ كَرَامَتِها وعِزَّتِها ومبادِئِها... وَتِلكَ هِيَ النِّهايةُ الطَّبِيعيةُ لِكُلِّ شَعْبٍ يفقِدُ إيمانَهُ وَوَعيَهُ لِلقِيمِ الرُّوحِيَّةِ الكَبِيرةِ التي تَغمُرُ حياتَهُ بِالقُوَّةِ ، وَرُوحَهُ بِالسَّكينةِ، وَتَعمُرُ كِيانَهُ بِالقُوةِ والحَياةِ ))([[107]](#footnote-106)).. (( وَلا خَيْرَ فِي أُمَّةٍ تَنْقادُ لِشَهواتِها، وَتَضعُفُ أمامَ نُفُوسِها ))([[108]](#footnote-107))..

إنَّ (( تعنُّتَهُم مَعَ اللهِ  جَعلَهُم لا يَصْبِرُونَ عليهِ، فَقَالُوا: ما يُدرِينا لَعلَّه لا يأتِي؟؟ نُرِيدُ طَعاماً نَزْرعُهُ بِأيدِينا، وَيُكونُ طوالَ الوَقتِ أمامَ أعيُنِنا.. وَكأنَّ هذِهِ المُعجِزاتِ كلَّها لَيْستْ كافِيةً لِتُعطِيهِمُ الثِّقَةَ فِي ٱسْتِمرارِ رِزْقِ اللهِ .. فَطَلبُوا أصنافاً تَدُلُّ على أنَّ مَنْ يأكُلُها هُمْ مِنْ صِنْفِ العَبيدِ !! والمَعْرُوفُ أنَّ آلِ فِرْعَونَ ٱستَعبدُوا بَنِي إسْرائِيلَ؛ وَيَبْدو أنَّ بَنِي إسرائِيلَ أحبُّوا حَياة العُبُودِيةِ وٱستَطعَمُوها.. الحقُّ  كان يُريدُ أنْ يرفعَ قدرهم فنزَّلَ عليهم المنَّ والسلوى، ولكنَّهم فضَّلوا طعام العبيد !! ))([[109]](#footnote-108))..

(( والذي يَقَعُ علَيهِ الفَهمُ مِنَ الآية أنَّ النَزَقَ قَدِ ٱستَولَى على طِباعِهِمْ، وَمَلَكَ البَطَرُ أهْواءَهُمْ حتَّى كانُوا يَستخِفُّونَ بِذلِكَ الأمْرِ العَظِيمِ الذي هيَّأهُمُ اللهُ لَهُ مِنَ التمكُّنِ فِي الأَرضِ المَوعُودةِ، والخُرُوجِ مِنَ الخَسْفِ الذي كانُوا فِيهِ .. وَمَعَ كَثْرةِ ما شاهَدُوا مِنْ آياتِ اللهِ القائِمةِ على صِدْقِ وَعْدِهِ لَهمْ؛ لمْ تَستيقنْهُ أنْفُسُهُم، بَلْ كانُوا على رَيْبٍ مِنهُ؛ وكانُوا يَظنُّونَ أنَّ مُوسَى  خَدَعَهُمْ بإخْراجِهِمْ مِنْ مِصرَ، وَجاءَ بِهِمُ إلى البرَّيةِ لِيُهلِكَهم !! فَلِذلكَ دأبُوا عَلَى إعناتِهِ والإكثارِ مِنَ الطَّلَبِ فِيمَا يُستَطَاعُ وَمَا لا يُستَطَاعُ؛ حتَّى يَيئَسَ مِنْهُم، فَيَرتدَّ بِهِم إلَى مِصْرَ.. حَيْثُ ألِفُوا الذِّلةَ، وَلَهُمْ مَطْمعٌ فِي العَيشِ، وأَملٌ فِي الخَلاصِ مِنَ الهَلَكةِ ))([[110]](#footnote-109))..

(( إنَّ التَّنَطُّعَ فِي الدِّينِ، والإلحافَ فِي السُّؤالِ مِمَّا يَقْتَضِي التَّشْدِيدَ فِي الأحْكَامِ.. وَمِنْ ثَمَّ... إنَّهُمْ أُمِـرُوا بِذَبْحِ بَقَرَةٍ دُونَ غَيرِهَا مِنَ الحَيوَانِ؛ لأنَّهَا مِنْ جِنْسِ مَا عَبَدُوهُ ، وَهُوَ العِجْلُ؛ لِيَهُونَ عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا يَـرَونَ مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَلِيُعلَمَ - بِإجَابَتِهِمْ - مَـا كَانَ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ حُبِّ عِبَادَتِهِ !! ))([[111]](#footnote-110))..

فَمَـا ذَكَرَهُ اللهُ عَنْهُم فِي هذِهِ الآيةِ... يُـرشدُ إلى ما فِيهِ مِنَ الإعناتِ قَولُهُمْ:  لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ([[112]](#footnote-111))، فَقَدْ عبَّر عَنْ مَسألتِهِمْ بِمَا فِيهِ حَرْفُ النَّفْيِ الذي يأتِي لِسَلْبِ الفِعلِ فِي مُستَقبلِ الزَّمانِ مَعَ تأكِيدِهِ .. فكأنَّهُم قَالُوا: إعلَمْ أنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَكَ أمَـلٌ فِي بَقَائِنا مَعكَ على هذِهِ الحالةِ مِنِ ٱلتزامِ طَعَامٍ واحِدٍ.. فإنْ كانَتْ لَكَ مَنْزِلةٌ عِندَ اللهِ - كَمَا تَزْعُمُ - فٱدْعُهُ يُخرِجُ لنا ما يُمكنُ مَعَهُ أنْ نَبقَى مَعكَ.. إلى أنْ يتمَّ الوَعدُ الذي وَعدَكَ وَعَدتَنا.. وَهُمْ يَعلَمُونَ أنَّهم كانُوا فِي بَرِّيةٍ غَيرِ مُنْبِتةٍ، وَرُبَما لَمْ يَكُنْ قولُهُمْ هذا عَنْ سآمةٍ، وَلا أجَمٍ مِنْ وِحدَةٍ الطَّعامِ؛ ولكنَّهُ نَـزَقٌ وبَطَرٌ !! ))([[113]](#footnote-112))..

وَمِنْ مَوَاقفِهِمُ الأُخرى التي سجَّلها القُرآنُ الكَرِيمُ:  وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شيءتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزَيِدُ الْمُحْسِنِينَ  فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ([[114]](#footnote-113)) !!!

وَمِنْ صُوَرِ المُكابَرةِ وَالمُمَاطلةِ أَمامَ أوَامَرِ اللهِ  وَرَسُولِهِ  مَا حَكاهُ لَنا ربُّنا بِقَولِهِ:  وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ  قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ...  قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ...  قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ...  ... فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ([[115]](#footnote-114))!!! (( هذِهِ القِصَّةُ مِمَّا أرادَ اللهُ  أنْ يقُصَّهُ عَلَينا مِنْ أخْبارِ بَنِي إسْرائِيلَ فِي قَسْوَتِهِمْ وفُسُوقِهِم؛ للاعتِبارِ بِها..وَمِنْ وُجُوهِ الاعتِبارَ أنَّ التَّنطُّعَ فِي الدِّيـنِ، والإحفاءَ فِي السُّؤال مِمَّا يَقْتضِي التَّشديدَ في الأحْكامِ؛ فَمَنْ شدَّدَ ؛ شُدِّدَ عَلَيهِ ))([[116]](#footnote-115)).. فقدْ (( أعْطَى اللهُ  الأمْرَ أولاً؛ لِيَخْتبِرَ قُوةَ إيمانِ بَنِي إسْرائِيلَ، وَمَدى قِيامِهِمْ بِتَنْفِيذِ التَّكلِيفِ دُونَ تلكُّؤٍ أوْ تَمَهُّلٍ.. ولكنَّهم بَدَلاً مِنْ أنْ يَفْعلُوا ذلِكَ أخَذُوا فِي المُساوَمةِ والتَّباطُؤِ.. فَمَا دامَ اللهُ قَدْ طَلَبَ مِنْهم أنْ يذبَحُوا بَقَرةً ؛ فَكُلُّ ما عَلَيْهِمْ هُوَ التَّنفيذ .. وَلَكِنِ ٱنظرْ إلى الغَبَاءِ حتَّى فِي السُّؤالِ.. إنَّهُم يُرِيدُونَ أنْ يَفْعلُوا أيَّ شَيءٍ لإِبطالِ التَّكلِيفِ.. لَقَدْ قالُوا لِمُوسَى نبيِّهِمْ : «إنَّكَ تَهْزأ بِنَا» !! وَعِنْدَما سَمِعَ مُوسَى  كلامَهم ذُهِلَ؛ فَهَلْ هُناكَ نَبِيٌّ يَهزأَ بِتَكلِيفٍ مِنْ تكالِيفِ اللهِ  ؟؟!! أيَنْقلُ لَهُمْ نَبِيُّ اللهِ أمراً مِنْ أوامِرِ اللهِ  على سَبِيلِ الهُزلِ ؟!!! ))([[117]](#footnote-116))..

(( لَقَدْ سَلَكَ مُوسَى  مَعَهُم فِي الإجابةِ طَرِيقاً غيرَ طرِيقِ السُّؤالِ؛ إنَّهُ لا يَجبهُهم بٱنْحرافِهم فِي صِيغةِ السُّؤالِ؛ كَيْ لا يَدْخُـلَ مَعَهُم فِي جَدَلٍ شَكْليٍّ، إنَّمـا يُجِيبُهم كَمَا يَنْبِغِي أنْ يُجِيبَ المُعلِّمُ المُربِّي مَنْ يَبْتلِيهِ اللهُ بِهِمْ مِنَ السُّفهاءِ المُنْحَرِفينَ ))([[118]](#footnote-117)).. إذْ (( عَبَّرَ بِالاستِعَاذَةِ - قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ  - ؛ ٱستِعْظَامَاً لِمَا أقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنْ رَمْيِهِ  بِهَذِهِ العَظِيمَةِ المُنكَرَةِ !! فَإنَّ الهُزْءَ فِي أثْنَاءِ تَبلِيغَ أمْرِ اللهِ ، وَفِي مَقَامِ الإرشَـادِ يَكَادُ يَكُونُ كُفْرَاً !! فَكَيْفَ يَلِيقُ ذَلِكَ بِنَبِيٍّ مِنَ الأنْبِيَاءِ الكِرَامِ ؟!! وَلَوْ كَانُوا أذْكِيَاءَ لَفَهِمُوا مَغْـزَى كَلامِهِ ؛ فَإنَّهُ وَضَّـحَ لَهُمْ أنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَإنَّمَا هُوَ أمْرُ اللهِ ... وَلَمْ يَقُلْ: «إنَّنِي آمُـرُكُمْ»... وَلَكِنَّهُمْ أُنَاسٌ جُهَلاءَ ، مُشَاغِبُونَ، مُعَانِدُونَ، لا يَعْرِفُونَ قَدْرَ الرُّسُلِ !! ))([[119]](#footnote-118)).. (( وَكانَ سؤالُهُمْ يُبيِّـنُ نَقْصَ دَرَجةِ الإيمانِ عِنْدَهم؛ لمْ يَقُولُوا: «ٱدعُ لَنَا ربَّنا»، بَـلْ قالُوا: «ٱدعُ لَنَا ربَّك»!! وكأنَّهُ رَبُّ مُوسَى وَحدَهُ .. إذْ (( سَمَّوْهُ - كَمَا تَرَى - بِٱسْمِهِ؛ جَفَاءً وَغِلْظَةً.. ٱعتِمَادَاً عَلَى مَا عَمَّهُمْ مِنْ بِـرِّهِ وَحِلْمِهِ، غَيْرَ مُتَأدِّبِينَ بِمَا بَهَـرَهُمْ مِنْ جَلالَةِ حَظِّهِ مِنَ اللهِ !! ))([[120]](#footnote-119)).. (( ولَقدْ تكرَّرتْ هذِهِ الطَّرِيقةُ فِي كلامِ بَنِي إسْرائِيلَ عِدَّةَ مراتٍ !!! ))([[121]](#footnote-120))..

يَقُولُ عَبْدُ الحَمِيد كُشك فِي تَفْسِيرِهِ للآيَةِ: (( فَبَنُو إسْرَائِيلَ إنْ أرَدْنَا أنْ نُسَمِّيَهُمْ بِٱسْمٍ يَدُلُّ عَلَى نُفُوسِهِمُ المُعَقَّدَةِ ؛ ٱستَطَعْنَا أنْ نَقُولَ: «إنَّهُمْ مَصَابُونَ بِعُقْدَةِ البَقَرَةِ ... وَمَا تَحْتَوِيهِ تِلْكَ القِصَّةُ مِنْ مَوقِفٍ مُتَصَلِّبٍ لِقَومٍ شَدَّدُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ» !!! وَلَمَّا أخْبَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ أنَّ اللهَ يَأمُـرُهُمْ أنْ يَذْبَحُوا بِقَرَةً ؛ قَالُوا لَهُ بِلِسَانٍ جَريءٍ ، وَحَمَاقَةٍ شَنِيعَةٍ:  أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً  ؟!! مَـا كَانَ يَلِيقُ أنْ يُوَجَّهَ مِثلُ هَذَا الخِطَابِ إلَى نَبِيٍّ، رَسُولٍ، كَلِيمٍ مِنْ أُولِي العَزْمِ !! ... فَيَقُولُ لَهُمْ بِلِسَانِ الحَلِيمِ، النَّاصِحِ، الأمِينِ، الشَّفُوقِ، الكَرِيمِ:  أَعُوذُ اللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ([[122]](#footnote-121)) ))([[123]](#footnote-122)).. وَيَقُولُ عبدُ الحميد طُهماز في قولِهِم:  أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً  : (( وجاءَ قولُهُم بِصِيغةِ الاستِفهامِ الإنكاريِّ، فَجَمعُوا بِهِ سُوءَ الأدبِ مَعَ نبيِّ اللهِ مُوسَى ، وَعَدمِ الثِّقةِ بِهِ !! كأنَّهُ  يَتَقوَّلُ على اللهِ ، وَحَاشا لِنَبِيٍّ كَرِيمٍ أنْ يَفْعلَ هذا ))([[124]](#footnote-123)).. وَيُضيفُ مُعلِّقاً على قَولِهِم لِنبيِّهِم:  ادْعُ لَنَا رَبَّكَ : (( وهِيَ وَقَاحةٌ ثانيةٌ، وَسُوءُ أدبٍ آخَرَ... كأنَّهُ  رَبُّ مُوسَى وَحْدهُ !! ))([[125]](#footnote-124)) ..

وقالَ مُحمَّد حسين فضلُ الله في مَعْرِضِ حديثِهِ عنْ هذِهِ الآيةِ تَحْتَ عُنوان: «مَقَايِيسُ النَّجاحِ عِنْدَ اللهِ»: (( إنَّ هذِهِ الآياتِ المُبارَكةَ تكشِفُ لنا عنْ مُجتَمَعِ بَنِي إسرائيلَ مِنَ الدَّاخِلِ، وتُوضِحُ لنا الطَّريقةَ التي يُواجِهُ بِها أفرادُهُ الأوامِرَ الصَّادِرةَ مِنْ مُوسَى  ؛ مِمَّا يُوحي بِطبيعةِ المُشاغَبةِ التي تَجْعلُهُم يُواجِهُونَ القَضَايا مِنْ موقِعِ التَّعقيدِ لا مِنْ موقِعِ البَساطةِ، فيُحوِّلُونَ مهمَّةَ النَّبِيِّ فِي قِيادتِهِ الفِكْريَّةِ والعَمَليَّةِ إلى مُهمَّةٍ صَعْبةٍ؛ لأنَّ هُناكَ فَرقاً فِي حَرَكةِ القِيادةِ بينَ قِيادةٍ تَتَحرَّكُ في جُمْهورٍ يُطيعُ الأوامِرَ كَمَا تَـرِدُ إليهِ مِنْ دونِ سُؤالٍ عنِ التَّفاصيلِ التي لا معنى لها؛ لأنَّها لمْ تَـرِدْ في صيغةِ الأمرِ، وَبَينَ قيادةٍ يَقِفُ جُمْهُورُها لِيسألَ عنْ كُلِّ صَغِيرةٍ أوْ كَبِيرةٍ مِنْ دُونِ أنْ يَكُونَ ذلِكَ داخِلاً في حِسابِ مسؤوليَّتِهِ ؛ فإنَّ ذلِكَ يُعطِّلُ الحركةَ، ويُنذِرُ بِالهَزِيمةِ فِي أصْعبِ المَواقِفِ وأكثرِها تعقيداً عندَما يَكُونُ فِي حاجةٍ إلى الحَسْمِ والتَحَرُّكِ السَّريعِ ))([[126]](#footnote-125)) ..

كَمَا أنَّ هُناكَ (( ثمَّةَ قرائِـنَ فِي الآيةِ تُوضِحُ أنَّ هؤلاءِ القومَ لمْ تكُنْ لهُم معرفةٌ كامِلةٌ باللهِ، ولا بِالنَّبِيِّ المُرسَلِ إليهِم؛ لِذلكَ قالُـوا بعدَ كُلِّ أسئِلتِهِم: «الآنَ جِئْتَ بِالحقِّ»!! وكأنَّ كُلَّ ما جاءَ بِهِ حتَّى ذلِكَ الوَقْتِ كَانَ باطِلاً !!! إنَّ الأُمَّةَ تَستوجِبُ غَضَبَ اللهِ  حِينَ تُصِرُّ على عِنادِها ولجاجِها وٱستِهتارِها بِكُلِّ شَيءٍ ... إنَّ هؤلاءِ القومَ بَلَغُوا الذُّرْوةَ فِي إهانةِ النَّبيِّ، بَـلْ وبلَغتْ بِهِمُ الجَرأةُ إلى إساءَةِ الأدبِ تُجاهَ ربَّ العالَمِينَ ؛ فِي البِدايةِ قالُوا لِنبيِّهِم: «أتتَّخِذُنا هُزُوا» !! وبِذلكَ ٱتَّهمُوا نبيَّهُم بِٱرتِكابِ ذَنْبِ الاستِهزاءِ بِالآخَرينَ !! وفي مواضِعَ عَدِيدةٍ خاطَبوهُ بِعِبارةِ «ٱدعُ لنا ربَّكَ» !! أوَكانَ ربُّ مُوسَى غَيرَ ربِّهِم ؟!! ))([[127]](#footnote-126))..

(( هَكَذَا كَانَ حَالُ بَنِي إسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى.. يَتَمَرَّدُونَ ويُعَانِدُونَ؛ وَسَوطُ العَذَابِ يُصَبُّ عَلَيْهِمْ صَبَّاً.. فَأُصِيبُوا بِالأوبِئَةِ وَأنْوَاعِ الأمْرَاضِ، وَسُلِّطَتْ عَلَيْهِمْ هَوامُّ الأرْضِ وَحَشَرَاتُهَا حَتَّى فَتَكَتْ بِالعَدَدِ العَدِيدِ ، وَالخَلْقِ الكَثِير !! ))([[128]](#footnote-127)).. أفَيرقَـى أمثالُ هؤلاء إلى مَرتِبةِ الأهلِيَّةِ، وأنْ يَكُونُوا آلاً وأتباعاً وأنْصاراً للهِ ورُسُلِهِ ؟؟!!

الموقف السادس / وأَخِيراً .. وَبَعْدَ أنْ تعرَّفنا على حالِهِم المَشِينِ مَعَ ربِّهم ، وَمَـعَ رَسُولِ ربِّهم .. لِنتعرَّفْ الآنَ على حالِهِم مَعَ بَعْضِهِم البَعْضِ، وَعَلَى الرَّوابِطِ الاجتِماعِيَّةِ التي كانَتْ تشُدُّهُم وتَـربِطُهُم!! لِنَـرَى مِنْ خِلالِ ذلكَ كلِّهِ مَدَى تأثِيرِ النُّورِ الإلهيِّ، والهدْيِ النَّبوِيِّ فِي سُلُوكِهِم وتَعَامُلِهِمْ، فَضْلاً عَنْ عَقِيدِتِهِم وَعِباداتِهِم ...

قالَ  رَاوِياً لَنَا ولِخَلَفِهِمُ ٱلحالَ المُزْرِيةَ التي كانُوا عَلَيْها:  وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ  وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ  ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ  أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ([[129]](#footnote-128)) ...

كَانتْ تِلكَ عيِّناتٍ يُمكِنُ- مِنْ خِلالِها- تَشْخيصُ الدَّاءِ الذي كَانَ يُعانِي مِنهُ أصْحابُ مُوسَى ، والذي لَمْ يَنْفعْ مَعَهُ الدواءُ ولا الكيُّ الرَّبَّانيُّ، ولا الشِّفاءُ النَّبوِيُّ !!! وَكانَتْ تِلكَ النُّبذُ أثناءَ حَيَاةِ نبيِّهِم  وَفِي حَضْرتِهِ، فَمَاذا كانَ حالُهُم بَعدَ ٱنتِقالِهِ إلى الرَّفِيقِ الأعلى؟!! مِنَ الطَّبِيعيِّ جدَّاً أنْ تَكُونَ أدْهَى وأمَـرَّ، وَمَا لَهَا مِنْ إحْصاءٍ لَوْ عدَّها عادٌّ !!

وَمَـا كَانَ خَلَفُهُمْ أحْسَنَ حَالاً مِنْهُمْ فِي شَيءٍ ؛ بَلْ إنَّهُمْ قَدْ وَرِثُوا عِنَادَهُمْ وَٱستِكْبَارَهُمْ وَتَألِّيهِمْ عَلَى اللهِ ، وَعَلَى رُسُلِهِ  !!! فَلْنَتَعَرَّفْ عَلَى حَالِهِمْ وَإخْلالِهِمْ بِمَبْدَأِ **«الأهْلِيَّةِ وَالأولِ والرُّجُوعِ**» لله وَدِينِهِ وَرُسُلِهِ.. قَالَ :  ألَمْ تَرَ إلَى المَلإِ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ إذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكَاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ ... فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوا إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ([[130]](#footnote-129)).. (( إذَنْ، فَالجَمَاعَةُ الَّذِينَ تَوَلَّوا كَانُوا ظالِمِينَ لأنْفُسِهِمْ، وَلأهْلِيهِمْ، وَلِمُجْتَمَعِهِمْ، وَلِلقَضِيَّةِ العَقَدِيَّةِ.. وَقَولُهُ الحَقُّ:  وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ([[131]](#footnote-130)) هُوَ إشَارَةٌ إلَى أنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى هَؤُلاءِ الَّذِينَ تَخَاذَلُوا سِرَّاً، وَأرَادُوا أنْ يَقْتُلُوا الرُّوحَ المَعْنَوِيَّةَ لِلنَّاسِ !! وَهُمُ الَّذِينَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا العَصْرِ: «الطَّابُورُ الخَامِسُ» !! الَّذِينَ يَفْتَتُّونَ الرُّوحَ المَعْنَوِيَّةَ مِنْ دُونِ أنْ يَرَاهُمْ أحَدٌ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَعْرِفُهُمْ !! لَقَدْ طَلَبَ هَؤُلاءِ القَومُ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ مِنْ نَبِيِّهِمْ أنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكَاً، وَكَانَ يَكْفِي النَّبِيَّ المُرسَلَ أنْ يَختَارَ لَهُمُ المَلِكَ لِيُقَاتِلُوا تَحْتَ رَايَتِهِ.. لَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ فِي التَّلَكُّؤِ وَاللّجَاجَةِ، وَيُرِيدُونَ أنْ يَنقُلُوا الأمْرَ نَقلَةً لَيْسَتْ مِنْ قَضَايَا الدِّينِ !! ))([[132]](#footnote-131))..

لِذَا (( كَانَ لِنَبِيِّهِمْ - بِسَبَبِ مَعْرِفَتِهِ لَهُمْ، وَتَجْرِبَتِهِ مَعَهُمْ - حَقَّ أنْ يَتَشَكَّكَ فِي قُدْرَتِهِمْ عَلَى القِتَالِ، وَيَقُولَ لَهُمْ: هَلْ عَسَيْتُمْ إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ ألاَّ تُقَاتِلُوا([[133]](#footnote-132)) !! ))([[134]](#footnote-133))؛ وَذَلِكَ لأنَّهُ كَانَ يَعلَمُ يَقِينَاً بِأنَّ (( الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ يَتَطَلَّبُ إعْدَادَاً نَفْسِيَّاً وَتَرْبَوِيَّاً وَعِلْمِيَّاً، وَخِبْرَةً وَكَفَاءَةً وَمَهَارَةً ، وَجَرأةً وَشَجَاعَةً، وَعَزِيمَةً صَادِقَةً وَإخْلاصَاً، وَتَضْحِيَةً وَتَفَانِيَاً فِي سَبِيلِ المَبْدَأِ وَالعِزَّةِ وَالكَرَامَةِ.. فَهُوَ لا يَكُونُ بِالأمَانِيِّ وَالتَّعَلُّلاتِ؛ وَإنَّمَا بِالبُطُولَةِ وَمَضَاءِ العَزِيمَةِ، وَقُوَّةِ الإرَادَةِ .. وَلَمْ يَكُنْ لَدَى بَنِي إسْرَائِيلَ شَيءٌ مِنْ هَذِهِ المُقَوِّمَاتِ؛ لِسَبَبَيْنِ جَوْهَرِيَيْنِ، هُمَا: خُبْثُ النُّفُوسِ، وَعَدَمُ طَهَارَتِهَا وَصِدْقِهَا.. وَضَعْفُ الإيمَانِ، وَحُبُّ الحَيَاةِ بِدُونِ تَضحِيَاتٍ وَعَنَاءٍ ؛ لِذَا تَوَلَّوا وَأعْرَضُوا عَنِ المُشَارَكَةِ فِي القِتَالِ؛ لِفَقْدِ مُقَوِّمَاتِهِ السَّابِقَةِ، مَعَ أنَّ القِتَالَ يُحَقِّقُ لَهُمْ أسْمَى الآمَالِ مِنِ ٱسْتِردَادِ الحُقُوقِ المُغتَصَبَةِ، وَتَطْهِيرِ البِلادِ مِنَ المُحتَلِّ وَالعَدُوِّ القَاهِرِ، وَتَتْوِيجِ الجُهُودِ بِالعِزَّةِ وَالكَرَامَةِ وَالفَوزِ وَالغَلَبَةِ ))([[135]](#footnote-134))..

كانَتْ تِلكَ - عَلَى عُجالةٍ - صُورةٌ قُرآنيةٌ مُصغَّرةٌ لِما كَانَ عليهِ أَصْحابُ مُوسَى  «اليَهُود» وَالنَّبِيِّ بَعْدَهُ ، وكيفَ كانَتْ صُحبتُهُم لهُمْ دُونَ المُستَوى اللائِـقِ .. نَنتَقلُ بَعدَها إلى أُمَّةٍ لَيْستْ عَنْهُم بِبَعيدٍ لِنَـرَى كيفَ كانُوا هُمُ الآخَرُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ إليهِم، أُولئك هُمُ أصْحابُ عِيسَى  «النَّصارَى» الذينَ حَكَى اللهُ  لَنَا قِصَّتهم مَعَ نبيِّهِم بِقَولِهِ:  وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ([[136]](#footnote-135))..

فَلَمْ يكُنْ فِيهِم مِنَ الأتْباعِ الخُلَّصِ إلاَّ ٱثنا عَشَرَ رجُلاً ٱرتدَّ واحِدٌ مِنْهُم، فَمَا بَقِيَ مِنْهُم إلاَّ أحَدَ عَشَرَ، وهُمُ الحَوَارِيُونَ الذينَ أمرَنا اللهُ أنْ نتأسَّى بِهِمْ فِي طاعتِهِم لِنبيِّهم وَمُؤازرتِهِم ونُصرَتِهم لَهُ بِقولِهِ :  يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ([[137]](#footnote-136)).. يَقُولُ مُحْيِي الدِّين الخطيبُ: (( وَعَالجَ المَسِيحُ  في فِلَسْطينَ عُقُولَ مُواطِنيهِ مِنَ العامَّةِ والخاصَّةِ... فَلَمْ يَستجِبْ لِدَعوتِهِ إلاَّ عَددٌ ضَئِيلٌ لا يكادُ يُسمَّى جَمَاعةً، فَضَلاً عَنْ أنْ يَكونَ أُمَّةً ))([[138]](#footnote-137))..

لقدْ صَدَرَ - على الرَّغمِ مِنْ ذلِكَ كلِّهِ - مِنْ هؤلاءِ الحَواريينَ أُمورٌ تَدُلُّ على أنَّهم لَمْ يَتَخلَّصُوا تَمَاماً مِنْ طَبِيعَتِهِمُ المادِّيَّةِ اليَهُوديَّةِ، مِثلَ طَلَبِهِمْ مِنْ نبيِّهِم  مائِدةً تَنْزِلُ عَلَيهِم مِن السماءِ دليلاً على صِدقِهِ([[139]](#footnote-138)) ، كما أخبرَ  عن ذلكَ بِقولِهِ:  إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ([[140]](#footnote-139)).. (( فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أنَّهُمْ كَانُوا شَاكِّينَ مُتَوَقِّفِينَ؛ فَإنَّ هَذَا القَولَ لا يَصْدُرُ عَمَّنْ كَانَ كَامِلَ الإيمَانِ !! ))([[141]](#footnote-140)).. يُؤَيِّدُ ذَلِكَ هُوَ أنَّ اللهَ  (( مَا وَصَفَهُمْ بِالإيمَانِ وَالإخْلاصِ؛ وَإنَّمَا حَكَى ٱدِّعَاءَهُمْ لَهُمَا... إنَّ دَعْوَاهُمْ كَانَتْ بَاطِلَةً، وَإنَّهُمْ كَانُوا شَاكِّينَ !! وَقَولُهُمْ:  هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ  كَلامٌ لا يَـرِدُ مِثلُهُ عَنْ مُؤمِنِينَ مُعَظِّمِينَ لِرَبِّهِمْ !! وَكَذَلِكَ قَولُ عِيسَى  لَهُمْ مَعْنَاهُ : «ٱتَّقُوا اللهَ وَلا تَشُكُّوا فِي ٱقْتِدَارِهِ وَٱستِطَاعَتِهِ، وَلا تَقْتَرِحُوا عَلَيْهِ، وَلا تَتَحَكَّمُوا مَا تَشْتَهُونَ مِنَ الآيَاتِ !!» ))([[142]](#footnote-141))..

لِنَقِف الآنَ قليلاً مَعَ النَّصِّ القُرآنيِّ المُباركِ، وَنَتأمَّلْ ما وَرَدَ فِيهِ.. قالَ الحَوَارِيُّونَ: «يَـا عِيسَى ٱبنَ مَرْيم» هَكذا !! يُنَادُونَهُ بِٱسْمِهِ وَيَجْهرُونَ لهُ بِالقولِ كَجَهْرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، مِنْ غَيرِ تَوقِيرٍ وكأنَّهُ  أحدُهُم !! إذْ (( سَمَّوْهُ - كَمَا تَـرَى([[143]](#footnote-142)) - بِٱسْمِهِ؛ جَفَاءً وَغِلْظَةً.. ٱعتِمَادَاً عَلَى مَا عَمَّهُمْ مِنْ بِـرِّهِ وَحِلْمِهِ، غَيْرَ مُتَأدِّبِينَ بِمَا بَهَـرَهُمْ مِنْ جَلالَةِ حَظِّهِ مِنَ اللهِ !! ))([[144]](#footnote-143)).. وقالُوا كَذَلِكَ: «هَـلْ يَستطِيعُ ربُّكَ» !! وكأنَّه  لَيْسَ بِرَبِّهِم !! وقالُوا: «ونَعلَمَ أنْ قَدْ صَدَقْتَنا»، وكأنَّهُم يشُكُّونَ فِي صِدقِهِ وَيُـرِيدُونَ البُرهانَ عَلَى ذلِكَ !!!

يقولُ مُحمَّد حسين فضل الله: (( وهُنا يَتَساءَلُ الإنسانُ: هَـلْ كانُوا فِي شكٍّ مِنْ قُدرةِ اللهِ  فِيمَا يُوحِي بِهِ السُّؤالُ... عَلَى أساسِ ردِّ الفِعْلِ مِنْ عِيسَى  فِيمَا نَقَلَهُ اللهُ  مِنْ قولِِهِ: اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ([[145]](#footnote-144))؛ فإنَّ مُواجَهَتَهُم الأمْـرَ بِالتَّقْوى، وإثارةَ مَوْضُوعِ الإيمانِ أمامهُم يدُلُّ على أنَّ هذا الطَّلبَ يَتَنَافَى مَعَ خطِّ الإيمانِ والتَّقوى... ويطلُبُ عِيسَى مِنهُمُ التَّراجُعَ عَنْ ذلِكَ الطَّلَبِ؛ لأنَّ الذيـنَ يَقْترِحُونَ المُعْجِزاتِ هُمُ الذينَ لا يُؤمِنُونَ بِها، أوِ الذين لا يُؤمِنُونَ إلاَّ مِنْ خِلالِهَا ))([[146]](#footnote-145))..

وَيَقُولُ سيِّد قطب: (( وَيَكشِفُ لَنَا هذا الحِوارُ عَنْ طبِيعةِ قَوْمِ عِيسَى  المُستَخلَفينَ مِنهُم، وهُمُ الحَوَاريُّونَ.. فإذا بَينَهُمْ وَبَينَ أصْحابِ نبيِّنا » فَرقٌ بَعِيدٌ ؛ إنَّهُمُ الحَوَاريُّونَ الذينَ ألهمَهُمُ اللهُ الإيمانَ بِهِ وبِـرَسُولِهِ عِيسَى ، فآمَنُوا وأشْهَدُوا عِيسَى عَلَى إسلامِهِمْ.. وَمَعَ هذا فَهُم - بعدَما رأَوا مِنْ مُعجِزاتِ عِيسَى ما رأَوا - يَطلُبُونَ خارِقةً جَدِيدةً تطمئِنُّ بِها نفوسُهُم، وَيَعلَمُونَ مِنْها أنَّهُ صدقَهُم، وَيَشْهدُونَ بِهَا لِمَنْ وَرَاءَهُم.. فأمَّا أصحابُ aٍ » فلَمْ يطلُبُوا مِنهُ خارِقةً واحِدةً بَعدَ إسلامِهِم.. لَقدْ آمنَتْ قُلوبُهُم وٱطمأنَّتْ مُنذُ أنْ خالَطَتْها بَشاشةُ الإيمانِ، وَلَقدْ صدَّقوا فلمْ يَعُودُوا يطلُبُونَ على صِدقِهِ - بعدَ ذلِكَ - البُرهانَ، ولَقدْ شَهِدوا لهُ بِلا مُعْجِزةٍ إلاَّ هذا القُرآنَ.. هذا هُـوَ الفرقُ الكبيرُ بينَ حَوَاريِّي عِيسَى ، وحَوَاريِّي aٍ ».. ذلكَ مُستَوىً، وَهَذا مُستوىً.. وَهؤلاءِ مُسلِمُونَ، وأُولئِكَ مُسلِمُونَ.. وهؤلاءِ مقبُولُونَ عِندَ اللهِ ، وأُولئِكَ مَقْبُولُونَ.. ولكنْ تَبقَى المُستَوياتُ مُتباعِدةً كَمَا أرادَها اللهُ  ))([[147]](#footnote-146))..

وقدْ سبَقَ لِلسُّيوطيِّ أنْ علَّلَ مَا ذَهَبَ إليهِ سيد قطب، حَيْثُ قالَ فِي كِتابِهِ «الإتْقانِ»: (( وأكثرُ مُعْجِزاتِ بَنِي إسرائيلَ كانَتْ حِسِّيةً؛ لِبَلادتِهِمْ وقلَّةِ بَصِيرتِهِمْ.. وأكثرُ مُعْجِزاتِ هذِهِ الأُمة عقليةٌ؛ لِفُرطِ ذَكائِهِمْ وكَمالِ أفْهامِهِمْ ))([[148]](#footnote-147)) !!

مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ حَالِ الحَوَارِيِّينَ مَعَ اللهِ ، وَمَعَ رَسُولِهِ ؛ تَتَبَيَّنُ لَنَا حَقِيقَةُ حَالِهِمِ، وَدَرَجَةُ إيمَانِهِمْ؛ إذْ أنَّ سُؤَالَهُمْ هَذَا (( سُؤَالٌ خَطِيرٌ ؛ وَخَاصَّةً وَأنَّ اللهَ قَدْ أجْرَى عَلَى يَدَيِ المَسِيحِ مِنَ المُعجِزَاتِ مَا يَمْلأُ النَّفْسَ يَقِينَاً، وَصِدْقَاً، وَإيمَانَاً، وَإذْعَانَاً لِقُدْرَةِ اللهِ  وَعَظَمَتِهِ !!! فَإذَا كَانَ هَذَا قَدْ صَدَرَ مِنَ الحَوَارِيِّينَ، فَمَا بَالُنَا بِغَيرِهِمْ ؟؟!! ))([[149]](#footnote-148)) !!

جَدِيـرٌ بِالذِّكْرِ أنْ أذْكُرَ - مِنْ بَابِ الأمَانَةِ وَالإنْصَافِ - مَا قَصَّهُ عَلَينَا القُرآنُ الكَرِيمُ مِنْ أنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ بِأنَّ هُنَاكَ **«آلاً**» صَحِبُوا الأنبِياءَ مِنْ قَبلِنَا؛ فَأحْسَنُوا الصُّحْبَةَ، وَأبْلَوُا البَلاءَ الحَسَنَ، وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ.. فَقَضَوا نَحْبَهُمْ جَمِيعَاً فِي سُوحِ الوَغَى، وَفِي غَيْرِهَـا..

قَالَ اللهُ  فِي مُحكَمِ كِتَابِهِ العَزِيزِ:  وَكَأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَ وَهَنُوا لِمَا أصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّبِرِينَ ([[150]](#footnote-149)).. و«كَأيِّنْ» هُنَا لِلتَّكْثِير([[151]](#footnote-150))، حَيْثُ (( يَضْرِبُ اللهُ المَثَلَ لِلمُسلِمِين مِنْ إخْوانِهِمُ المُؤمِنِينَ قَبلَهُمْ، مِنْ مَوْكِبِ الإيمَانِ اللاحِبِ المُمْتَدِّ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ، الضَّارِبِ فِي جُذُورِ الزَّمَانِ، مِنْ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إيمَانِهِمْ، وَقَاتَلُوا مَعَ أنْبِيَائِهِمْ.. فَلَمْ يَجْزَعُوا عِنْدَ الابتِلاءِ ، وَتَأدَّبُوا - وَهُمْ مُقْدِمُونَ عَلَى المَوْتِ - بِالأدَبِ الإيمَانِيِّ فِي هَذَا المَقَامِ، مَقَامِ الجِهَادِ ؛ فَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى أنْ يَستَغْفِرُوا رَبَّهُمْ، وَأنْ يُجَسِّمُوا أخْطَاءَهُمْ؛ فَيَرَوْهَا «إسْـرافَاً» فِي أمْرِهِمْ، وَأنْ يَطْلُبُوا مِنْ رَبِّهِمُ الثَّبَاتَ وَالنَّصْرَ عَلَ الكُفَّارِ.. وَبِذَلِكَ نَالُوا ثَوَابَ الدَّارَيْنِ؛ جَزَاءَ إحْسَانِهِمْ فِي أدَبِ الدُّعَاءِ ، وَإحْسَانِهِمْ فِي مَوْقِفِ الجِهَادِ ))([[152]](#footnote-151))..

(( إنَّ مَا أصَابَهُمْ لَمْ يُخَالِجْهُمْ بِسَبَبِهِ تَرَدُّدٌ فِي صِدْقِ وَعْدِ اللهِ ، وَلا بَدَرَ مِنْهُمْ تَذَمُّرٌ؛ بَلْ عَلِمُوا أنَّ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يَعلَمُهَا ، أوْ لَعَلَّهُ كَانَ جَزَاءً عَلَى تَقْصِيرٍ مِنْهُمْ فِي القِيَامِ بِوَاجِبِ نَصْرِ دِينِهِ، أوْ فِي الوَفَاءِ بِأمَانَةِ التَّكْلِيفِ؛ فَلِذَلِكَ ٱبتَهَلُوا إلَيْهِ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ بِقَولِهِمْ: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإسْرَافَنَا فِي أمْرِنَا...([[153]](#footnote-152))؛ خَشْيَةَ أنْ يَكُونَ مَا أصَابَهُمْ جَزَاءً عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُمْ.. ثُمَّ سَألُوهُ النَّصْرَ وَأسْبَابَهُ ثَانِيَاً؛ فَقَالُوا:  وَثَبِّتْ أقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ([[154]](#footnote-153)).. فَلَمْ يَصُدَّهُمْ مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الهَزِيمَةِ عَنْ رَجَاءِ النَّصْرِ ))([[155]](#footnote-154)).. (( وَلِذَلِكَ فَالإيمَانُ يَتَطَلَّبُ أنْ تَنْتَبِهُوا إلَى مَوَاطِنِ الضَّعْفِ فِيكُمْ أولاً؛ وَالَّذِي ٱستَوجَبَ أنْ يُصِيبَكُمْ مَا أصَابَكُمْ.. حَقَّاً إنَّكُمْ لَمْ تَضْعُفُوا، وَلَمْ تَستَكِينُوا، وَأصَابَكُمْ فِي المَعْرَكَةِ شَيءٌ مِنَ التَّعَبِ وَالألمِ.. وَكَأنَّ الحَقَّ  يُوَضِّحُ لَنَا أنَّهُمْ قَدْ تَنَبَّهُوا فَأحْسَنُوا البَحْثَ فِي نُفُوسِهِمْ أولاً.. لَقَدْ تَكَلَّمُوا عَنِ الذُّنُوبِ؛ وَطَلَبُوا المَغْفِرَةَ .. وَتَكَلَّمُوا عَنِ الإسْرَافِ عَلَى النَّفْسِ.. وَبَعْدَ ذَلِكَ تَكَلَّمُوا عَنِ المَعْرَكَةِ.. فَمَاذَا كَانَ العَطَاءُ مِنَ اللهِ ؟؟ يَأتِينَا الجَوَابُ فِي قَولِهِ الحَقِّ:  فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ...([[156]](#footnote-155)) ))([[157]](#footnote-156))..

(( فَكَثِيرٌ مِنْ أتبَاعِ الأنبِيَاءِ كَانَتْ لَهُمْ مَوَاقِفُ رَائِعَةٌ، وَبُطُولاتٌ خَارِقَةٌ.. فَجَاهَدُوا، وَقَاتَلُوا، وَصَبَرُوا، وَقُتِلُوا؛ وَمَا لانَتْ لَهُمْ قَنَاةٌ ، وَلا خَارَتْ لَهُمْ عَزِيمَةٌ، وَلا ذَلُّوا، وَلا خَضَعُوا لِمَا أصَابَهُمْ فِي الجِهَادِ ، وَكَانَ فِعلُهُمْ مَقْرُونَاً بِقَولِهِمُ الدَّالِّ عَلَى قُوَّةِ إيمَانِهِمْ، وَطَهَارَةِ نُفُوسِهِمْ، وَإخْلاصِهِمْ فِي طَلَبِ رِضْوَانِ اللهِ ؛ فَتَضَرَّعُوا إلَى رَبِّهِمْ وَقْتَ الشِّدَّةِ وَالمِحْنَةِ، وَعِنْدَ لِقَاءِ العَدُوِّ؛ فَٱستَحَقُّوا إنْعَامَ اللهِ  عَلَيْهِمْ فِي الدُّنيَا بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَفِي الآخِرَةِ بِالجَنَّةِ، وَوُصِفُوا بِالإحْسَانِ، وَأُوتُوا ثَوَابَاً عَظِيمَاً دَائِمَاً لا يَحُدُّهُ حَصْرٌ ))([[158]](#footnote-157))..

المبحث الثاني/ أصحـاب نبينــا »

بَعْدَ أنْ تَعَرَّفنا - فِي المَبْحث السَّابِقِ - عَلَى حالِ آلِ وأَصْحابِ الأنْبياءَ السابِقينَ مَعَهُم، وكيفَ كانَ سلوكُهم وٱمتثالُهم لأوامرِ اللهِ ، وَمَدَى تَحقِيقِهِمْ لِهذا المَفْهُومِ وَوَفائِهِم بِضَرِيبتِهِ الغاليةِ.. هَذا بِالنِّسبةِ لِمَنْ سَبَقَ جيلَ الصَّحابةِ الكِرامِ ... بَقِيَ لَنَا أنْ نَتَعرَّفَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيهِ أُولئِكَ الثُلَّةُ الذينَ ٱختارهم اللهُ (جلَّت حِكمته) لِصُحبةِ نبيِّهِ الكَرِيمِ »؛ لِنَعرِفَ مِنْ خِلالِ الحُجَّةِ والبُرهانِ مَنْ هُمُ «**الأهْـلُ**» الحَقِيقيُّونَ الصادِقُونَ قَولاً وَعَملاً وسُلُوكاً فِي ٱنتمائِهِم وآصِرَتِهِمُ ٱلنسبيةِ، وَفِي صِلتِهُمُ السببيَّة، ومَنْ هُمُ « **الآلُ**» والأتباعُ والأنصارُ الذينَ كانُوا يكثُرونَ عندَ الفَزَعِ، ويقِلُّونَ عِنْد الطَّمَعِ.. أُولئِكَ الذينَ ٱرتَقَى بِهِمْ هذا الدِّينُ السَّامي مِنْ حالٍ إلى حالٍ.. وصنعَ مِنْهم رِجالاً صَنَعُوا بِدَورِهِمُ التَّارِيخَ، وأعادُوا تَـرتيبَ سُطُورِهِ المُبعثَرةِ ، وأصْبَحوا سَادةَ الأُمم وقَادَتَها، بَعدَما كانُوا رُعاةَ غَنَمٍ، وَبَعدَما كانُوا عَبِيدَاً لأنفُسِهم، وأُسارى لِشَهَواتِهِم.. وَنَهَضَ بِهِم مِنْ وأْدِ البَنَاتِ، إلى وأْدِ الأُمَمِ التي لا تَدِينُ بِدِينِ اللهِ ، ولا تحتكِمُ إلى شَرْعِهِ، ولا تَهتَدِي بِهَدْيِ نبيِّهِ » رغْم أنفِ مَنْ  يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ([[159]](#footnote-158)).. فبَعدَ أنْ كانَ شِعارُهُم حمِيَّةَ الجاهِلِيةِ، وَمَفاخِرَها الزَّائِفةَ، وكِبرياءَها وعُلُوَّها فِي الأرضِ بِغيرِ الحقِّ.. أصبَحَ شِعارُ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُم بِفضلِ اللهِ وبِرحمتِهِ  أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ([[160]](#footnote-159))..  وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ([[161]](#footnote-160))... نتعرَّفُ على ذلِكَ كُلِّهِ وغيرِهِ مِنْ خِلالِ مَشَاهِدِ هذا المبْحثِ المُخْتَصَرِ؛ لنحكُمَ بَعدَ ذلكَ عَلَى أنفسِنا، ونختارَ مِنْ بَيْنِ تِلكَ السُّبُلِ سبيلَنا إلى اللهِ ... فَلْنَتَعرَّفَ عَلَى مَا كَانُوُا عَلَيهِ مِنْ حالٍ مِنْ خِلالِ المَشَاهِدِ الآتِيةِ :-

الـمشهد الأول/

الشهادة الربانية بعدالة الصحـابة  وكونهم شهداء اللـه فـي الأرض

لَقَدْ شَهِدَ اللهُ  مِنْ فَوْقِ سَماواتِهِ السَّبعِ العُلا بِعَدَالةِ أصْحابِ نبيِّهِ » فِي كِتابٍ يُتلَى ويُتَعبَّدُ بِتِلاوتِهِ إلى يَومِ القيامَةِ  وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً([[162]](#footnote-161))، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً([[163]](#footnote-162)) ؟؟! قالَ  فِي مُحكَمِ كِتابِهِ العَزِيزِ :  وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ([[164]](#footnote-163)).. والمُخاطَبُونَ بِهذِهِ الآيةِ الكَرِيمةِ - كَمَا هُوَ واضِحٌ - هُمْ أصْحابُ النَّبِيِّ »؛ إذْ هُمُ ٱلذِّينَ شَهِدوا التَّنزِيـلَ، وَعَليهِمْ قُرِئَتْ هذِهِ الآيةُ، وفِي صلاتِهِم تُلِيتْ([[165]](#footnote-164))..

فَهذِهِ شهادةٌ مِنَ اللهِ الحَكِيمِ الخَبِيرِ بِعدالةِ أصْحابِ نبيِّهِ »؛ بِهَـا ٱستحقُّوا أنْ يَكُونُوا شُهداءَهُ علَى النَّاسِ مِنْ جَمِيعِ الأُمم.. وَفِي الآيةِ ما يُبيِّنُ أنَّ اللهَ  قدِ ٱختارَ أصْحابَ نبيِّهِ » لأنْ يكونوا شُهداءَهُ على النَّاسِ، يحكُمُونَ عليهِمْ بالخَيْرِ أو الشرِّ.. وَفِي ذلكَ إشارةٌ لَطِيفةٌ إلى قضيَّةٍ فِي غايةِ الأهميَّةِ قدْ غفلَ الناسُ عنها، ألا وهيَ أنَّ مسألةَ «تَعْديـلِ الصحابةِ  وتَجْرِيحِهِم» لا شأنَ للنَّاسِ بها، ولا حقَّ لَهُمْ فِيهَا.. إنَّمـا ذلكَ إلى اللهِ  وَرَسُولِهِ » دُونَ سِواهُما؛ وذلكَ لِسَبَبينِ ٱثنينِ :-

أما السبب الأول فهو/ أنَّ الصحابةَ  هُم شُهودُ اللهِ  فِي الأرْضِ؛ ٱختارَهُم لِيكُونوا شُهداءَهُ على خَلْقِهِ..([[166]](#footnote-165)) !! مُـرَّ بجَنازةٍ، فأُثنِيَ عَلَيْها خَيْراً، فَقَالَ النَّبِيُّ »: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ.. ومُـرَّ بجَنازةٍ، فأُثنيَ عَلَيها شَرَّاً، فقالَ نَبِيُّ اللهِ »: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ.. فقالُ عُمَرُ  فِدىً لكَ أبِي وأُمِّي!! مُـرَّ بِجَنازةٍ فأُثنيَ عَلَيَها خَيْراً فقُلتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ.. ومُـرَّ بجَنازةٍ فأُثنيَ عَلَيها شرَّاً، فقُلتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ ؟؟! فقالَ رَسُولُ الله »: (( مَنْ أثنيتُمْ عَلَيهِ خَيْراً؛ وَجَبَتْ لَهُ الجَنةُ، وَمَنْ أثنيتُمْ عليهِ شرَّاً وجبتْ لَهُ النارُ.. أَنتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرضِ، أَنتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرضِ، أَنتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرضِ !! ))([[167]](#footnote-166))..

وأما السبب الثاني فهو / أنَّ الصحابةَ هُمُ الشاهِدُ ، والنَّاسُ هُمُ المشهودُ عليهِمْ، وليسَ العكسَ.. والمشهودُ عليهِ لا يُقبلُ طعنُهُ وتجريحُهُ فِي ٱلشاهدِ العدلِ؛ بَـل أنَّ ذلكَ يقومُ دليلاً على بُطلانِ دَعْواهُ ، وقيامِ الحُجَّةِ عليهِ([[168]](#footnote-167)).. عَـنْ أبِي سعيدٍ الخُدري  قال: قـال رسول الله »: (( يُجاءُ بنوحٍ يومَ القيامةِ فيُقالُ لهُ: هلْ بلَّغتَ ؟ فيقولُ: نَعَمْ يا ربِّ.. فتُسألُ أُمَّتُه: هَـلْ بلَّغَكُم ؟ فَيَقُولُونَ: ما جاءَنَا مِنْ نذيرٍ.. فيقولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟؟ فيقولُ: aٌ وأُمتُه.. فيُجاءُ بِكُم فتشهدونَ.. ثُمَّ قرأَ رسولُ اللهِ »: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ([[169]](#footnote-168)) ))([[170]](#footnote-169)).. قالَ ٱبنُ حَجَرٍ العَسْقلاني: (( إنَّ الشَّهادةَ لا تخُصُّ قومَ نُوحٍ، بَلْ تعُمُّ الأُمَمَ ))([[171]](#footnote-170)).. وَقَـالَ أبُو هُريْرةَ : (( نحنُ الآخِرُونَ، السَّابِقونَ يَومَ القِيامة ))([[172]](#footnote-171))..

الـمشهد الثاني / الصحابة  هـم خيرة هذه الأمة وكـل أمة

قالَ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ([[173]](#footnote-172)).. إنَّ هذِهِ الآيةَ الكَرِيمةَ (( تَدُلُّ على أنَّ هذِهِ الصِّفةَ مُلازِمةٌ لَهُم مُنذُ وُجُودِهِم، وهِي أظهرُ ما تَكُونُ في الجِيلِ الأولِ منْ أجيالِ الأُمَّةِ المُسلِمةِ، وهُو جِيلُ الصَّحابةِ  ))([[174]](#footnote-173)).. فقدْ خاطبتْ هذِهِ الآيةُ الكَرِيمةُ صَحَابةَ رَسُولِ اللهِ »، وَهِيَ تُبَشِّرُهًم بالخَيْريةِ المُطلَقةِ على سائِـرِ الأُممِ؛ لِمَا قامُوا بِهِ مِنْ أمرِ اللهِ  فِي الأمْـرِ بالمَعْروفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكرِ، والإيمانِ باللهِ .. (( وَلا شَكَّ أنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا أفضَلَ القُرُونِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي العَالَمِ؛ لأنَّ رَسُولَهُمْ أفْضَلُ الرُّسُلِ، وَلأنَّ الهُدَى الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ لا يُمَاثِلُهُ هُدى أصْحَابِ الرُّسُلِ الَّذِينَ مَضَوا ))([[175]](#footnote-174)).. قَـالَ أحمد مُصطَفَى المَرَاغِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الآيَةِ المُبَارَكَةِ: (( وَهَذَا الوَصْفُ يَصْدُقُ عَلَى الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهِ أولاً، وَهُمُ النَّبِيُّ » وَأصْحَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَقْتَ التَّنْزِيلِ؛ فَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا أعْدَاءً فَألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَٱعتَصَمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعَاً، وَكَانُوا يَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ، وَلا يَخَافُ ضَعِيفُهُمْ قَوِيَّهُمْ، وَلا يَهَابُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَمَلَكَ الإيمَانُ قُلُوبَهُمْ وَمَشَاعِرَهُمْ؛ فَكَانُوا مُسَخَّرِينَ لأغْرَاضِهِ فِي جَمِيعِ أحْوَالِهِمْ ))([[176]](#footnote-175))..

وإذا كانَتِ الآيةُ - منْ حَيْثُ العُمُومِ - تَشْمَلُ هذِهِ الأُمَّةَ كُلَّها؛ فإنَّ هذهِ الأُمَّةَ لمْ تكنْ يومَ نُزُولِ الآيةِ إلاَّ جماعةَ الصَّحابةِ  حصراً.. فالصَّحابةُ  - إذنْ - هُم «خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» بِشهادةِ أحكمِ الحاكِمِينَ وأصدقِ القائِلينَ؛ إذْ هم أوَّلُ المُخَاطَبينَ بِهذِهِ الآيةِ العظيمةِ، وعليهِم نزلتْ، وفي صَلَواتِهِم تلاها رَسُولُ اللهِ الصادِقُ الأمينُ »، ولا تزالُ تُتْلى إلى يومِ القيامةِ([[177]](#footnote-176)).. عَنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ  قالَ: قـالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ » يومَ الحُديبِيَةِ: (( أَنتُمْ خَيْرُ أهلِ الأرضِ ))([[178]](#footnote-177)).. وَرُوِيَ عنهُ أيضاً » أنَّهُ قالَ: (( خَيرُ القُرُونِ قَرْني، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم ))([[179]](#footnote-178))..

(( إنَّ التَّعْبيرَ بكلمة «أُخرجتْ» المَبْنيَّ لِغَيرِ الفَاعِلِ تَعْبيرٌ يُلفِتُ النَّظَرَ.. وَهُوَ يكادُ يَشِي بِاليَدِ المُدبِّرةِ اللَّطِيفةِ تُخرِجُ هذِهِ الأُمةَ إخْراجاً، وَتَدفعُها إلى الظُّهورِ دَفْعاً منْ ظُلماتِ الغَيْبِ، وَمِنْ وَرَاءِ السِّتارِ السَّرمَدِيِّ الذي لا يَعلمُ مَا وَرَاءهُ إلاَّ اللهُ .. إنَّهـا كَلِمةٌ تُصوِّر حَرَكةً خَفِيةَ المَسْرى، لطيفةَ الدَّبِيبِ.. حَرَكةً تُخرِجُ على مَسْرحِ التَّارِيخِ أُمةً.. أُمةً ذاتَ دورٍ خاصٍّ، لها مقامٌ خاصٌّ، وَلَهَا حِسابٌ خاصٌّ ))([[180]](#footnote-179))..

وَفِي هذِهِ الآيةِ الكريمةِ إشارةٌ لطيفةٌ إلى أنَّ هذِهِ الأُمةَ المُبارَكةَ  أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ  (( أي: أُظهِرتْ وأُوجِدتْ لِخيرِ النَّاسِ بِمشيئةِ اللهِ  وقُدرتِهِ وحِكمتِهِ وعِلمِهِ؛ فهذِهِ الأُمَّةَ رحمةٌ مِنَ اللهِ لِلنَّاسِ تحملُ لهم رِسالةَ الإسلامِ، رِسالةَ السَّعادةِ والسَّلام ))([[181]](#footnote-180)).. وخيرُ مَنْ حملَ هذِهِ الرَّسالةِ وأدَّاها بِأمانةٍ، وبسالةٍ، وكفاءَةٍ ، وصِدقٍ، تامٍّ.. تامٍّ.. تامٍّ.. هُو جيلُ الصَّحابةِ الكِرامِ ، آلِ النَّبِيِّ » ووُزَراءَهُ وأنصارَهُ فِي الشَّدائِدِ والمُلِمَّاتِ، أصْحابِ الكَثرةِ عِندَ الفَزَعِ والقِلَّةِ عِندَ الطَّمَع.. (( وَكَفَى فَخْرًا لَهُم أنَّ اللهَ  شَهِدَ لَهُم بأنَّهُم خَيرُ النَّاس، فإنَّهم أولُ داخِلٍ فِي هذا الخِطابِ، ولا مَقامَ أعظمُ مِنْ مَقامِ قومٍ ٱرتَضَاهُمُ اللهُ  لِصُحبةِ نَبيِّهِ » وَنُصرتِهِ ))([[182]](#footnote-181))..

جَدِيـرٌ بِالذَّكْرِ أنْ (( لَيْسَتِ «الخَيْرِيَّةُ» الَّتِي خَاطَبَ اللهُ بِهَا المُهَاجِرِينَ، وَالأنْصَارَ، وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ ... لأشْخَاصِهِمْ وَذَوَاتِهِمْ؛ بَـلْ لأنَّهُمْ مُتَّصِفُونَ بِأوْصَافٍ هِيَ عِلَّةُ هَذِهِ «الخَيْرِيَّةِ»، وَمَنَاطُ تِلْكَ الرِّفْعَةِ الإلَهِيَّةِ.. وَتِلْكَ الأوْصَافُ هِـيَ: الأمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، وَالإيمَانُ بِاللهِ !! ))([[183]](#footnote-182))..

(( إنَّ الإنسانيةَ مِنْ أقدمِ أزمانِها، وفي مُختَلَفِ أوطانِها لمْ تشهدِ «الجيلَ المِثالي» إلاَّ مرَّةً واحدةً حِينَ فوجِئَتْ بِإقبالِهِ عليها مِنْ صَحارَى أرضِ العَرَبِ يَدْعو إلى الحقِّ والخيرِ بِالقُوَّةِ والرَّحمةِ ، فكانَ ذلكَ مُفاجأةً عجيبةً لِكُلِّ مَنْ شَهِدَ هذا الحادِثَ التاريخيَّ الفَذَّ... وكانتِ المُفاجأةُ عَجيبةً بِمصدرِها وكيفيتِها وأطوارِها، ثُمَّ كانتْ عجيبةً بِنتائِجِها التي لا تـزالُ إلى اليومِ مِنْ مُعجِزاتِ التاريخ..

أينَ كانَ هؤلاءِ ؟؟ وكيفَ تكوَّنوا على حينِ غفلةٍ مِنَ الأُممِ ؟؟ وما هذهِ الرِّسالةُ التي يحمِلُونَها ؟؟ وكيفَ نجحتْ ؟؟ وما هيَ وسائِلُ نجاحِها ؟ سلسِلةٌ مِنَ الأسئِلةِ لا يكادُ النَّاسُ يتساءَلُونَ بِأوَّلِها حتَّى يُفاجَؤوا بِما يُنسيهِم تاليهِ أوَّلهُ .. إلى أنْ رأوا مِنْ صِفاتِ هذِهِ الأُمَّةِ المِثاليةِ ما أيقنُوا بِهِ أنَّها تحمِلُ إلى الإنسانيةِ رِسالةَ الحقِّ والخيرِ، وأنَّها تُترجِمُ عنْ رِسالتِها بِأخلاقِها وسيرتِها وأعمالِها، وأنَّ الذي ٱعتقدَتْهُ وتخلَّقتْ بِهِ وَدعتِ الأُممَ إليهِ هُو ٱلحقُّ الذي قامتْ بِهِ ٱلسماواتُ والأرضُ... وأولُ ما نعلمُهُ ونُؤمِنُ بِهِ مِنْ أسبابِ الكمالِ في هذا «الجيلِ المِثاليِّ» أنَّهُ تلقَّى تربيتَهُ على يدِ مُعلِّمِ الناسِ الخيرَ، خاتَمِ رُسُلِ اللهِ المبعُوثِ بِأكملِ رِسالاتِ اللهِ »؛ إنَّ هذا السَّببَ في طليعةِ أسْبابِ الكَمَالِ لِهذا «الجِيلِ المِثاليِّ».. ))([[184]](#footnote-183))..

الـمشهد الثالث / الصحابة  هـم السابقون الأولـون

قالَ :  وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ([[185]](#footnote-184)).. قالَ سيِّدُنا عُمرُ  فِي هذِهِ الآيةِ: (( لقدْ كُنتُ أرى أنَّا رُفِعنَا رِفعةً لا يبلُغُها أحَدٌ بعدَنا ))([[186]](#footnote-185)).. وقالَ أبُو هُريْـرةَ : (( نَحْنُ الآخِرونَ السَّابِقون يَومَ القِيامة ))([[187]](#footnote-186)).. وقالَ الطِبْرِسيُّ فِي تفسيرِ هذِهِ الآيةِ الكريمةِ: (( وَفِي هذِهِ الآيةِ دِلالةٌ عَلَى فَضلِ السَّابِقينَ ومِزْيتِهِم على غيرِهِم ؛ لِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ أنواعِ المشقَّةِ في نُصْرةِ الدِّين.. فَمِنْها: مُفارقةُ العشائِرِ والأقربينَ، وَمِنْها: مُباينةُ المألوفِ مِنَ الدِّينِ، وَمِنْها: نُصْرةُ الإسلامِ، وقِلَّةُ العددِ، وكَثْرةُ العدوِّ، ومنها: السَّبْقُ إلى الإيمانِ والدُّعاءُ إليهِ ))([[188]](#footnote-187)).. قالَ الطَّباطَبائِيُّ: (( المُرادُ بـ«السابقينَ» هُمُ الذين أسَّسُوا أساسَ الدِّينِ، وَرَفَعُوا قَوَاعِدَهُ قبلَ أنْ يَشِيدَ بُنيانُهُ، ويهتزَّ راياتُهُ.. صِنفٌ مِنْهم بالإيمانِ واللُّحُوقِ بِالنَّبِيِّ »، والصَّبرِ على الفتنةِ والتعذيبِ، والخُرُوجِ مِنْ ديارِهِم وأموالِهِم بالهِجْرةِ إلى الحَبَشةِ والمَدِينةِ، وَصِنْفٌ بالإيمانِ ونُصْرةِ الرَّسُولِ » وإيوائِـهِ، وإيواءِ مَنْ هاجَرَ إليهِمْ مِنَ المُؤمنينَ، والدِّفاعِ عَنِ الدِّينِ قبلَ وُقُوعِ الوقائِع ))([[189]](#footnote-188)).. فَقَدْ أخبرَنا  أنَّهُ رَضِيَ عَنِ السَّابِقينَ الأوَّلينَ مِنَ المُهاجرِينَ والأنصارِ، وأنَّهُ رَضِيَ أيضاً عَنِ الذينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بإحسانٍ.. كَمَا قالَ  بعدَ ذِكْرِهِ للصحابةِ الكِرامِ مِنَ المُهاجِرينَ والأنصارِ :  وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ([[190]](#footnote-189))؛ إذْ أنَّ الضَمِيرَ فِي«بعدِهِم» يَعُودُ إلى المُهاجِرينَ والأنصارِ  معاً.. والمُرادُ بِـ«الذينَ جاؤوا منْ بعدِهِم»: كلُّ مَنْ سارَ بِسيرتِهِمْ إلى يومِ القِيامةِ، ولا وجهَ بِالتَّخصيصِ بِالتَّابِعينَ؛ لأنَّ العِبرةَ بِالأعمالِ لا بِالأمكِنةِ والأزمِنة ))([[191]](#footnote-190))..

نُلاحِظُ مِنَ الآيةِ جليَّاً أنَّهُ قدْ جَعَلَ اللهُ سَبَبَ الرِّضَى عمَّنْ بعدَ المُهاجِرينَ والأنصارِ  هُو ٱتِّباعُ المُهاجِرينَ والأنصارِ؛ فَصَاروا هُمُ المِيزانَ، وهُمُ المِقياسَ.. وذلِكَ نظيرُ قولِهِ :  فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ([[192]](#footnote-191)).. فَجَعلَهُمُ المِيزانَ لِصحَّةِ عملِ غيرِهِمْ .. وَهذِهِ الكَلِمةُ مِنَ اللهِ ، وَهذِهِ الشَّهادةُ مِنْهُ  تُكسِبُ قلبَ المُؤمِنِ الاعتِزازَ والثِّقةَ؛ فَهُوَ وحدَهُ المُهتدِي، وَمَنْ لا يُؤمِنُ بِما يُؤمِنُ بِهِ، فَهُو المُحادِدُ للهِ وَرَسُولِهِ، المُشاقُّ لِلحقِّ، المُعادِي للهُدَى، المُحارِبُ لِلدِّينِ([[193]](#footnote-192))..

لَوْ قُـدِّرَ أنَّ رَهْطَاً مِنَ النَّاسِ يُـرِيدُونَ بَلدَةً مُعَيَّـنَةً؛ وأمَامَهُمْ أكْثَـرُ مِنْ طَرِيقٍ، أحَدُهَا يُوصِلُ إلَى الغَايَةِ وَإلَى البَلْدَةِ وَهُمْ لا يَعْرِفُونَهَا.. وَبَيْنَمَا هُمْ فِي حَيْـرَةٍ مِنْ أمْرِهِمِ؛ إذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ خَبِيرٌ بِالطُّرُقِ المُوصِلَةِ؛ فَعَيَّنَهَا لَهُمْ .. فَصَدَّقَتْهُ طَائِفَـةٌ فَسَارَتْ؛ حَتَّى وَصَلَتِ إلَى غَايَتِهَا.. وَتَـأخَّرَتِ الأُخْرَى؛ حَتَّى بَلَغَهَا وُصُولُ الطَّائِفَةِ الأُولَى.. أفَيَجُـوزُ لِعَاقِـلٍ مِنْهُمْ أنْ يَـرغَبَ بِنَفْسِهِ عَنْ مُتَابَعَتِهِمْ عَلَى الطَّرِيقِ نَفْسِهَا إنْ هُوَ أرَادَ النَّجَاةَ والوُصُولَ والفَـلاحَ ([[194]](#footnote-193)) ؟!!

الـمشهد الرابع / الصحابـة  هـم الـمؤمنون حقا

قالَ : وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ([[195]](#footnote-194)).. فهذِهِ الآيةُ شهادةٌ مِنَ اللهِ العَلِيمِ الخَبِيرِ  على حَقِيقةِ إيمانِ المُهاجِريـنَ والأنْصارِ - وهلْ كانَ الصَّحابةُ آنذاكَ أحَدَاً غَيرَ المُهاجِرينَ والأنصارِ  ؟!! - وَهِيَ أيضاً شَهَادةٌ مِنهُ  على أنَّهم مُؤمِنُونَ حقَّاً ظاهِراً وباطِناً.. فأيُّ قولٍ بعدَ قولِ اللهِ :  أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ([[196]](#footnote-195)) ؟!! وأيُّ وَعْدٍ بعدَ وعدِهِ لَهُمْ بالمِغْفِرةِ والرِّزقِ الكَرِيمِ الذي هُوَ الجنَّة ؟!! ([[197]](#footnote-196)) فَمَا أروعَها، ومَا أعظمَها مِنْ شَهَادةٍ !! وما أصدقَهُ، وما أعدَلَهُ، وَمَا أحكمَهُ من شاهدٍ !!! وما أجلَّهُمْ ، وَمَا أكرمَهم عَلَى اللهِ  مِنْ مشهودٍ لَهُم !! وَلَـو رَجَعْنا إلى أوَّلِ السُّورةِ - سُورةِ الأنفالِ - وقارنَّا بَينَ أوصافِ المُؤمِنينَ المَذْكُورةِ فِيها وَبَينَ أوصافِهِم في آخِرِها - فِي هذِهِ الآيةِ المُباركةِ - لتَبيَّنَ لنا أنَّهُم هُمُ المَقْصُودُونَ بِقولِهِ :  إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ([[198]](#footnote-197))..

ومِنْ أمثِلةِ جِهادِهِم وطاعتِهِم للهِ ورسولِهِ: لمَّا أرادَ النبيُ » الخُرُوج لِبدرٍ ٱستشارَ النَّاسَ.. فقامَ أبُو بكرٍ  فقالَ فأحْسَنَ.. ثُمَّ قامَ عُمَرُ  كذلكَ.. ثُمَّ المِقدادُ  فقالَ: «والذي بَعثَكَ بِالحقِّ، لوْ سَلَكْتَ بِنا بركَ الغمادِ لَجاهدْنا مَعَكَ مِنْ دونِهِ، ولا نقولُ لكَ كَمَا قالتْ بنُو إسرائيلَ لِمُوسَى :  فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ([[199]](#footnote-198)) ، وَلكِنْ نَقُولُ: إنَّـا مَعَكُما مُقاتِلُونَ».. فقالَ »: أشيروا عليَّ، فعرَفُوا أنَّهُ » يُريدُ الأنصارَ  - وكانَ يتخوَّفُ أنْ لا يُوافِقُوهُ ؛ لأنَّهمْ لمْ يُبايِعُوهُ إلاَّ على نُصرتِهِ مِمَّنْ يقصِدُهُ لا أنْ يسيرَ بِهِم إلى العدوِّ - فقالَ لهُ سعدُ بنُ مُعاذٍ : ٱمْضِ يَـا رَسُولَ اللهِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ، ولِمَا شِئْتَ، وصِلْ حِبالَ مَنْ شِئْتَ، وٱقطعْ حِبالَ مَنْ شِئْتَ، وسالِمْ مَنْ شِئْتَ، وعادِ مَنْ شِئْتَ، وخُذْ مِنْ أموالِنَا ما شِئْتَ.. فلَئِـنْ سِرْتَ حتَّى تأْتيَ بركَ الغمادِ مِنْ ذي يَمَنٍ لَنَسيرَنَّ مَعكَ([[200]](#footnote-199))؛ فَـ(( تهلَّلَ وجهُ رَسُولِ اللهِ » وأشرقَ، وسرَّهُ ذلِكَ.. وحُقَّ لهُ » أنْ يُسَرَّ، ولِعينِهِ أنْ تقرَّ ؛ بِما أنعمَ اللهُ  عَلَيهِ بِأصْحابِهِ الأخْيارِ الأطْهارِ، الصَّفوةِ المُختارةِ بَعدَ الأنبياءِ .. ))([[201]](#footnote-200))..

الـمشهد الخامـس / الصحابة  بعضهم أوليـاء بعـض

قالَ  فِي مُحكَمِ كِتابِه العَزِيـزِ:  إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ([[202]](#footnote-201)).. فأثبتَ  الوَلايةَ والنُّصرةَ والأُلفةَ والمحبَّةَ بَينَ المُهاجِرينَ بعضَهُم لِبَعْضٍ، وَمَا تَزَالُ هذِهِ الآيةُ تُتْلى إلى يومِ القيامةِ([[203]](#footnote-202))..

تُعلِّمُنا هذِهِ الآيةُ الكريمةُ بِـ((ـأنَّ طَبِيعةَ المُجتمَعِ المُسلِمِ والقاعِدةَ التي ينطلِقُ مِنها، والتي يَقُومُ عَلَيْها لَيْستْ علاقاتِ الدَّمِ، ولا علاقاتِ الأرضِ، ولا علاقاتِ الجِنْسِ، ولا علاقاتِ التَّارِيخِ، ولا علاقاتِ اللُّغةِ، ولا علاقاتِ الاقتِصادِ .. ليستْ هِيَ القَرابةَ، وليستْ هِيَ الوطنيَّةَ، وليستْ هِيَ القوميَّةَ، وليستْ هِيَ المصالِحَ الاقتِصاديَّةَ .. إنَّمَـا هِيَ علاقةُ العقيدةِ، وعلاقةُ القيادةِ، وعلاقةُ التنظيمِ الحَرَكيِّ...

فَهذِهِ هِيَ الصُّورةُ الحقيقيةُ التي يتمثَّلُ فيها الإيمانُ.. هذهِ هِيَ صُورةُ النَّشأةِ الحقيقيةِ والوُجُودِ الحقيقيِّ لِهذا الدِّينِ.. إنَّهُ لا يوجدُ بِمُجرَّدِ إعلانِ القاعِدةِ النَّظريةِ، ولا بِمُجرَّدِ ٱعتِناقِها، ولا حتَّى بِمُجرَّدِ القيامِ بِالشَّعائرِ التَّعبُّدية فيها.. إنَّ هذا الدِّينَ منهجُ حياةٍ لا يتمثَّلُ في وُجودٍ فِعلِيٍّ إلاَّ إذا تمثَّلَ في تجمُّعٍ حركيٍّ.. أمَّا وُجودُهُ فِي صُورةِ عقيدةٍ فهُوَ وُجُودٌ حُكْميٌّ، لا يُصبِحُ  حَقَّاً  إلاَّ حِينَ يتمثَّلُ في تِلكَ الصُّورةِ الحركيَّةِ الواقِعيَّةِ ))([[204]](#footnote-203))..

(( فَكَانَ مِنَ النَّتائِجِ الواقِعِيةِ الباهِـرةِ لِلمَنْهجِ الإسلاميِّ فِي هذِهِ القَضِيةِ... أنْ أصبحَ المُجتمعُ المُسلِمُ مُجتمعاً مَفْتُوحاً لِجميعِ الأجناسِ والأقوامِ والألْوانِ واللُّغاتِ بلا عائِقٍ مِنْ هذِهِ العَوَائِقِ الحيوانيةِ السَّخِيفةِ... وتجمَّعتْ خَصَائِصُهم كلُّها لِتعملَ مُتمازجةً مُتعاونةً مُتناسقةً في بِناءِ المُجتمعِ الإسلاميِّ والحَضَارةِ الإسلاميةِ.. ولمْ تكنْ هذِهِ الحَضَارةُ الضَّخْمةُ يَوماً «عربيةً».. إنَّمَـا كانتْ دائِماً «إسلاميةً».. ولمْ تكنْ يوماً ما «قوميةً».. إنَّما كانتْ دائماً «عقيديةً»...)([[205]](#footnote-204))..

(( إنَّ الوشيجةَ التي يتجمَّعُ عليها الناسُ فِي هذا الدِّينِ وَشِيجةٌ فَرِيدةٌ تتميَّزُ بِها طبيعةُ هذا الدِّيـنِ، وتتعلَّقُ بآفاقٍ وآمادٍ وأبْعادٍ وأهدافَ يَخْتصُّ بِها ذلكَ المَنْهجُ الرَّبانيُّ الكَرِيمُ.. إنَّ هذِهِ الوَشِيجةَ لَيْسَتْ وَشِيجةَ الدَّمِ والنَّسَبِ، وَلَيستْ وَشِيجةَ الأرضِ والوَطَنِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ القَوْمِ والعَشِيرةِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ اللَّونِ واللُّغةِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ العُنْصُرِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ الحِرفَةِ والطَّبَقةِ... إنَّ هذِهِ الوَشَائجَ جَمِيعَها قدْ تُوجدُ ثُمَّ تَنْقطِعُ العَلاقةُ بَينَ الفَرْدِ والفَرْدِ.. وَهذا هُوَ المَعْلمُ الواضِحُ البارِزُ عَلَى مَفْرقِ الطَّرِيقِ بَينَ نَظْرةِ هذا الدِّينِ إلى الوَشَائِجِ والرَّوَابِطِ ، وبينَ نَظراتِ الجاهِليَّةِ المُتفرِّقةِ..

إنَّ الجاهِلِياتِ تجعلُ الرابطةَ آنـاً هِيَ الدَّمَ والنَّسَبَ، وآنـاً هِيَ الأرضَ والوطنَ، وآنـاً هِيَ القومَ والعشيرةَ ، وآنـاً هِيَ اللَّونَ واللُّغةَ، وآنـاً هِيَ الجِنْسَ والعُنْصُرَ، وآنـاً هِيَ الحِرفةَ والطَّبَقَةَ!! تجعلُها آنـاً هِيَ المَصالِحَ المُشتركةَ، أوِ التاريخَ المُشتركَ .. وكلُّها تَصَوُّراتٌ جاهِليةٌ - على تفرُّقِها أو تجمُّعِها - تُخالِفُ مُخالَفةً أصيلةً عَمِيقةً عنْ أصلِ التصوُّرِ الإسلامي!! ))([[206]](#footnote-205))..

الـمشهد السادس / رضـوان الله عليهم ووعده إيـاهم بالفتح القريب

فقدْ قالَ  مِنْ جُملَةِ ما قالَ فِي آياتِهِ البيِّناتِ: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً([[207]](#footnote-206)).. وهُنَـا يُعلِنُ البارِي  عَنْ رِضاهُ عَنِ المُؤمِنينَ الذينَ بايَعُوا رَسُـولَهُ » تَحْتَ شَجَرةِ الحُدَيْبِيَةِ بعدَ أنْ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ  مِنَ الصِّدْقِ والوَفاءِ والسَّمعِ والطاعةِ، فأنْـزَلَ عليهِمُ السَّكينَةَ والطُّمْأنينةَ، وأثابهُم فَتْحاً قَرِيباً حَصَلَ لهُم بِهِ العِزُّ والرِّفعةُ في الدُّنيا والآخِـرةِ ([[208]](#footnote-207)).. قَـالَ الطِبْرِسيِّ فِي تَفْسيرِهِ اللآيةِ الكَرِيمةِ: (( وهذا إخْبارٌ مِنْهُ  أنَّهُ رَضِيَ عَنِ المُؤمِنينَ إذْ بايَعُوا النَّبِيَّ » فِي الحُديبِيَةِ تَحْتَ الشَّجرةِ ...

وَعَلَى أيِّ حالٍ لا يَسَعُنا هُنا حَصْرُ جَمِيعِ الآياتِ الدَّالَّةِ على فَضَائِلِ الصَّحابةِ ))([[209]](#footnote-208)).. ولا يَخْفَى على أحَدٍ مَا فِي الآيةِ الكَرِيمةِ مِنْ تَزكِيةٍ صادِرةٍ ممَّنْ يعلمُ السِّرَّ وأخفى لِقُلُوبِهِمُ النقِيَّةِ الطاهِرة ، وأنَّهُ  ٱطَّلَعَ عليها فَعَلِمَ ما فيها مِنَ الخَيْرِ الذي ٱستحقَّ إنْزالَ السَّكينةِ والفَتْحَ والرِّضا.. كَمَا قالَ :  فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شيء عَلِيماً ([[210]](#footnote-209)).. فإنْ كانَ للتَّقوى أهلٌ ٱختُصُّوا بِها، فهُم أهلُها، وهُم أحَقُّ بِها مِنْ كلِّ تَقيٍّ([[211]](#footnote-210)).. بِذَلكَ أخبَرَنا اللهُ ، وبِذلكَ حَكَمَ وَقَضَى هُوَ وَرَسُولُهُ »..  وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ([[212]](#footnote-211))..

عنْ أبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ  عَنِ النَّبيِّ » أنَّهُ قالَ: (( يأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمانٌ يَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ لَهُم: هَلْ فِيكُم مَنْ رأَى رَسُولَ اللهِ » ؟؟ فَيَقُولُونَ: نَعَـمْ ؛ فيُفتَحُ لهُم.. ثُـمَّ يَغزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ لهُم: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رأى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ » ؟؟ فَيَقُولُون: نَعَـمْ؛ فيُفتحُ لهُم.. ثُمَّ يَغْزُو فِئامٌ مِنْ النَّاسِ، فيُقالُ لهُم: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رأى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ »؟؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ؛ فيُفتَحُ لهُم ))([[213]](#footnote-212))..

الـمشهد السابـع / الصحابـة  قدوة الأمم جميعـا

قال اللهُ :  مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ([[214]](#footnote-213))... وَفِي هذِهِ الآيةِ فَوَائِدُ جَلِيلةٌ يَنْبَغِي الوُقُوفُ عِنْدها للتأمُّـلِ والتدبُّـرِ، مِنْها :-

الفائدة الأولى / هَذا الوَصفُ الإلهيِّ الرائِعُ لِحَالِ صَّحابةِ رَسُولِ اللهِ » الذي ٱستحَقُّوا بِهِ أنْ يَكُونُوا قُدوةً ومَثَلاً للسَّابِقينَ مِنْ أهلِ الدِّياناتِ السالِفةِ، فقدْ كانَ الماضُونَ السَّابِقُونَ مِنْ أهلِ تلكَ الأُمَمِ يتلُونَ تِلكَ الأوْصافِ التي تَحَلَّى بِها أُولئِكَ الصَّحْبُ العِظامُ ، وَيَقرأون في كُتُبِهِم أخبارَهم وأحوالَهم، ويعبدُّون ويتقرَّبون إلى اللهِ  بِتِلاوتِها.. كلُّ ذلِكَ قبلَ أنْ يخْلُقَ اللهُ  هذا الجيلَ الطيِّبَ المُباركَ ، جيلَ الصَّحابةِ الكِرامِ على اللهِ ، وعلى رَسُولِهِ، وعلى المُؤمِنينَ مِنْ هذهِ الأُمَّةِ والأُمَمِ الماضِيةِ..

والفائدة الثانية / هِيَ أنَّ القُدوةَ خَيرٌ وأفضلُ مِنَ المُقتدِي، فَهُم  - كَمَا أخبَرَ اللهُ  - عَنهُمْ بِقولِهِ:  كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ([[215]](#footnote-214)).. فالصَّحابةُ الكِرامُ  قُدْوةُ السَّابِقينَ، كَمَا أنَّهُم قُدوةُ اللاحِقِينَ([[216]](#footnote-215)) ..

(( إنَّ التَّعْبِيرَ بِكَلِمةِ «أُخْرِجتْ» المَبنيَّ لِغَيرِ الفَاعِلِ تَعْبِيرٌ يُلْفِت النَّظَرَ.. وَهُوَ يَكادُ يَشِي بِاليدِ المُدبِّرةِ اللَّطِيفةِ تُخِرجُ هذِهِ الأُمةَ إخْراجاً، وَتَدفعُها إلَى الظُّهُورِ دَفْعاً مِنْ ظُلُماتِ الغَيْبِ، وَمِنْ وَرَاءِ السِّتارِ السَّرْمدِيِّ الذي لا يَعلمُ مَا وَرَاءَهُ إلاَّ اللهُ .. إنَّها كَلِمةٌ تُصوِّر حَرَكةً خَفِيةَ المَسْرى، لَطِيفةَ الدَّبِيبِ.. حَرَكةً تُخرِجُ علَى مَسْرَحِ التَّارِيخِ أُمةً.. أُمةً ذاتِ دَوْرٍ خاصٍّ، لَهَا مَقامٌ خاصٌّ، وَلَها حِسابٌ خاصٌّ ))([[217]](#footnote-216))..

الـمشهد الثامن / وجـوب الاستغفار لـهم والإمساك عما شجـر بينهم 

قالَ اللهُ  وَهُوَ يذكُرُ المُهاجِريـنَ والأنْصـارَ  والذينَ جاؤُوا مِنْ بعدِهِمْ - فِي مَعْرِضِ كلامِهِ  عَنِ الفَيءِ ولِمَنْ يكونُ - :  لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ  وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ والإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ  وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ([[218]](#footnote-217)).. فقدْ (( أمَـرَ اللهُ  أجْيالَ الأُمَّةِ جَمِيعاً بِحُبِّهِم والاستِغْفارِ لَهُم ... والاستِغْفارُ إنَّما يَكُونُ عنْ ذنبٍ؛ وَهَذا يَسْتلزِمُ التَّغاضيَ عمَّا وَقَعَ مِنْهمْ مِنْ أخطاءٍ أو ذُنُوبٍ، والإمساكَ عمَّا شَجَرَ بينَهُم، وإيكالَ أمرِهِم إلى اللهِ .. لا أنْ يَبْحثُوا وَيَستَقصُوا وَيَستَزِيدُوا وَيَستَنْقِصُوا ... فَهَذا مِمَّا لَمْ يُكلِّفْهُم اللهُ بِهِ ، بَـلْ نهاهُم عنهُ، وحرَّمهُ عليهِمْ، وجعلَهُ مِمَّا لا يعنيهِم ؛ فقدْ أخبرَ اللهُ  أنَّهُ رَضِيَ عَنِ السَّابِقينَ الأولينَ ))([[219]](#footnote-218)) ..

والقُرآنُ - كلامُ اللهِ - قدْ قالَ كَلِمتَهُ الصَّريحةَ في صحابةِ رسولِ اللهِ »، وَ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ  وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ([[220]](#footnote-219)) ، كَمَا إنَّهُ  لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ([[221]](#footnote-220)) !!! ))([[222]](#footnote-221)).. إنَّ فِي هذِهِ الآياتِ الكَرِيمةِ المُبَاركةِ تَزْكيةٌ مِنَ اللهِ  أيضاً للمُهاجِرينَ  وتسميتُهُ إيَّاهُم بـ«الصادقيـن»، وتزكيتُهُ كذلكَ للأنْصارِ  وَتَسْميتُهُم بـ«المُفلِحِينَ».. فإنْ يكُنْ فِي الأُمَّةِ أُناسٌ ٱختُصُّوا بٱسم أو بِلَقَبِ «الصَّادِقِيـنَ» و«المُفلِحِيـنَ» فهُمُ المُهاجِرُونَ والأنصارُ  بِنَصِّ كِتابِ اللهِ الحَكِيمِ الخَبِيـرِ  ([[223]](#footnote-222)).. واللهُ  يَقُولُ في مَوْضعٍ آخرَ مِنْ كِتابِهِ العزيزِ:  يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ([[224]](#footnote-223))؛ فنحنُ مأمُورُونَ - بِمُوجِبِ هذِهِ الآيةِ الكَرِيمةِ وَعَلَى ضَوئِها - بأنْ نَكُونَ مِنْ أتْباعِ الصَّادِقِيـنَ الذينَ هُمُ المُهاجِرُونَ على وجْهِ الخُصُوصِ، وإنْ كانتْ هذِهِ الصِّفَةُ تتَّسعُ لِتَشْمَلَ كلَّ مَنِ ٱتَّصَفَ بِها على العُمومِ..

وَلَـوْ قارنَّا بَينَ هذِهِ الآيةَ مِنْ سُورَةِ التَّوبةِ وَبَينَ الآيةِ التي قبلَها مِنَ السُّورَةِ نَفْسِها - والتي يَقُولُ فِيهَا :  وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ([[225]](#footnote-224)) - لَوَجَدْنا أنَّ أهـلَ الجنَّةِ قِسْمانِ، هُما: المُهاجِرُونَ والأنْصارُ.. ثُـمَّ الذيـنَ ٱتَّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ، وهؤُلاءِ - أصْحابُ القِسْمِ الأخيرِ- هُمُ الذيـنَ قالَ  فيهِم:  وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ([[226]](#footnote-225)).. فمَنْ مِنَّـا أرَادَ أنْ يَكُونَ مِنْ أهْلِ الجنَّةِ - عَلَى وِفْقِ هذهِ الآيةِ - فَمَا عليهِ، ولا يَسَعُهُ إلاَّ أنْ يَتَّبِعَهُم بإحْسانٍ، وأنْ يَستغفِرَ لهُمُ ٱمتثالاً لأمْـرِ ربِّهِ  ([[227]](#footnote-226))..

قالَ محمدُ جواد مُغنية فِي تَفْسِيرِ قولِهِ : لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ([[228]](#footnote-227))؛ (( لا لِشَيءٍ إلاَّ لِوُقُوفِهِمْ مَعَ الحقِّ، وإِعلاءِ كَلِمةِ الإسلامِ وَتَضْحِيتِهِمْ فِي سَبِيلِهِ  يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ([[229]](#footnote-228)) إيمانًا وَقَولاً وَعَملاً، وَبِهؤلاءِ المُهاجِرِينَ وأمثالِهِم مِنَ الأنْصارِ ٱستقامَ الإسلامُ وٱنْتَشَرَ فِي شَرقِ الأرضِ وَغَربِها؛ ولا بِدْعَ فإنَّ قائِـدَهُم aٌ »، وَلَـنَ تَكُونَ الأُمةُ فاسِدةً وقائِدُها صالِحٌ..  وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ([[230]](#footnote-229))، المُرادُ بِـ«الذين تَبوَّءُوا الدَّارَ والإيمانَ»: الأنْصارُ، وتَبَوَّءُوا: سَكَنُوا، والدَّار: دار الهِجْرةِ وَهِيَ المَدِينةُ، والإيمانُ: مَفْعولٌ لِفِعلٍ مَحْذُوفٍ، أي: وأخلَصُوا الإِيمانَ، وقدْ أثْنَى اللهُ عَلَى الأَنصارِ بأنَّهُم:  يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ([[231]](#footnote-230)) ))([[232]](#footnote-231))..

(( وَتَتجلَّى مِنْ وَرَاءِ تِلكَ النُّصُوصِ طَبِيعةُ هذِهِ الأُمةِ المُسلِمةِ، وتَتَجلَّى الآصِرَةُ القويَّةُ الوَثِيقةُ التي تَربِطُ أولَ هذِهِ الأمةِ بِآخِرِها، وآخِرَها بأولِها فِي تَضَامُنٍ، وَتَكافُلٍ، وَتَوادٍّ ، وَتَعاطُفٍ، وَشُعُورٍ بِوَشِيجةِ القُربَى العَمِيقةِ التي تَتَخَطَّى الزَّمانَ، والمَكَانَ، والجِنْسَ، والنَّسَبَ... صُورةٌ تُمثلُ الأجْيالَ مِنْ وَرَاءِ الزَّمانِ، والمَكَانِ، والجِنْسِ، والوَطَنِ، والعَشِيرةِ ، والنَّسَبِ، مُتَضامِنَةً، مُتَرابِطَةً، مُتكافِلةً، مُتوادَّةً، مُتعارِفةً، بَـرِيئةَ الصُّدُورِ مِنَ الغِلِّ، طَاهِرةَ القُلُوبِ مِنَ الحِقْدِ ... ))([[233]](#footnote-232)).. وهُناكَ الكَثِيرُ مِنَ الآياتِ القُرآنيةِ الكَرِيمةِ والأحادِيثِ النَّبوِيةِ الشَّرِيفةِ التي أعْرضْتُ عَنْ ذِكْرِها فِي هذا البابِ، وٱكتفيتُ بما ذكرتُ؛ تجَنُّباً لِلإطالةِ، إذْ أَنِّي لَـوْ ذَهَبتُ أسْتَقْصِيها لَبَلَغَتْ مُجلَّداتٍ؛ ولأنَّ فِي المَذْكُورِِ تَمامَ الفائِدةِ ، وبُلوغَ الغَايَةِ .. واللهُ مِنْ وراءِ القصدِ وهُو يَهْدي السَّبيلَ..

لقدْ ترسَّب سَوَادُ الأُممِ وَتَراكَمَ عَبْرَ الأحقابِ المُتَعاقِبةِ، وَلَمْ يتمكَّنْ أصحابُ نَبِيٍّ مِنَ الأنبياءِ مِنِ ٱقتلاعِهِ وإزالتِهِ وتَغْييرِه بِالكامِلِ؛ وذلكَ لأنَّهُمْ كانُوا عاجِزِينَ عَنْ تَغْييرِ أنفُسِهمِ، فَضْلاً عَنْ تَغْييرِ الواقِعِ الذي كانُوا يَعِيشُونَ فِيهِ، وقدِ ٱقتضتْ سُنَّةُ اللهِ فِي هذا الكونِ أنْ  لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ([[234]](#footnote-233))، وأنْ  لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ([[235]](#footnote-234)).. فَلا يُحابِي اللهُ  رُسُلَهُ، ولا يُغيِّرُ قوانينَهُ فِي أرضِهِ.. فلا يُغيِّر حالَ أُمَّةٍ على يدِ شَخْصِ الرَّسُولِ مَا لَمْ تأخُذُ الأُمةُ هِي الأُخرى بَعْضُها بِأيدِي بَعْضٍ إلى شاطئِ السَّلامةِ والأمانِ والنَّجاةِ ... فَجَاءتِ الأُمَّةُ تَتلُو الأُمَّـةَ، وبُعِثتْ إليها الرسُلُ تَتْرَى؛ فَلَمْ يَتغيَّرْ مِنْ حالِهَا وَضَلالِها شَيءٌ ؛ وَهَذا هُوَ السَّببُ وَرَاءَ ٱستِمْرارِ تَعاقُبِ الأُممِ، وبِعثةِ الرُّسُل..

ولكنْ شاءتْ حِكْمةُ اللهِ  أنْ لا يَذَرَ الأُممَ وَالأجْيَالَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيهِ، بَـلْ أنَّهُ  قدَّر- ومنذُ الأزلِ - أنْ يَبْعثَ لِهذهِ الأُمَمِ - كَمَا يَبْعثُ الرَّسُولَ للأُمةِ - أُمةً تُزِيلُ وتُزِيحُ كلَّ هذا السَّوادَ المُتَراكِمَ  فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ([[236]](#footnote-235))، وبشَّر  بِبِعثةِ هذِهِ الأُمةِ قائِلاً :  مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ([[237]](#footnote-236))، وَسَمَّى  السُّورةَ التي وَرَدَ فِيها ذِكرُ هذِهِ الثُّلةِ المُبَاركةِ والنُّخْبةِ الصَّادِقةِ والصَّفوةِ المُنتقاةِ بِـ«سُورةِ الفَتْحِ»؛ وكأنَّ الفَتْحَ لَمْ يتمّ على أصْحابِها ومَنْ نزلتْ عليهِمْ فِيمَا أسْماهُ التَّاريخُ الإسلامِيُّ بِـ«صُلحِ الحُديبيةِ»؛ بَـلْ تمَّ للأُممِ جميعاً، والبَشَرِيةِ قاطِبةً مُنذُ خَلْقِ آدمَ .. وَحَتَّى يَرِثَ اللهُ الأرْضَ وَمَنْ عَلَيها !!

يَقُولُ المُؤرِّخُ الألْمانِيُّ كاتاني (Caetani) فِي كِتابِهِ «سُننُ الإسلام»: (( لقدْ كانَ هؤلاءِ الصَّحابةُ الكِرامُ ممثِّلينَ صادِقينَ لِتُراثِ رَسُولِ اللهِ الخُلُقيِّ، ودُعاةَ الإسلامِ فِي المُسْتقبلِ، وحَمَلَةَ تعاليمِ aٍ » التي بلَّغها إلى أهلِ التَّقْوى والوَرَعِ .. لقدْ رفعَ بهِمُ ٱتَّصالُهم المُستَمِرُّ بِرَسُولِ اللهِ، وحبُّهمُ الخالصُ لَهُ إلى عالَمٍ مِنَ الفِكرِ والعَوَاطِفِ لمْ يَشْهدْ مُحِيطٌ أسْمَى مِنْهُ وأرقَى مدنيَّةً وٱجتماعاً.. والواقعُ أنَّ هؤلاءِ الصَّحابةَ قدْ حَدثتْ فِيهِمْ تحوُّلاتٌ ذاتَ قِيمةٍ كَبِيرةٍ مِنْ كلِّ زاويةٍ، وأثْبتُوا - فِيْمَا بعدُ فِي أصْعَبِ مُناسَباتِ الحُرُوبِ - أنَّ مبادِئَ aٍ » [كذا] إنَّما بُذِرَتْ في أخْصَبِ أرضٍ، وأنْبَتَتْ نَبَاتاً حَسَناً؛ وذلكَ عَنْ طَرِيقِ أُناسٍ ذَوِي كَفَاءاتٍ عالِيةٍ جِدَّاً ... كانُوا حَفَظَةَ الصَّحِيفةِ المُقدَّسةِ وأُمَناءَها.. لقدْ كانَ هؤلاءِ قادةَ الإسلامِ السَّابِقينَ الكِرامَ الذينَ أنْجَبُوا فُقَهاءَ المُجتَمعِ الإسلاميِّ وعُلَماءَهُ ومُحدِّثيهِ الأوَّلينَ )) ([[238]](#footnote-237)).. وقالَ المؤلِّفُ الفَرَنْسِيُّ غوستاف ليبون (Gustavell Eban) في كتابِهِ «حَضَارة العَرَب»: (( وَبِالجُملَةِ، فإنَّ هذا الدِّينَ الجَدِيدَ كانَ يُواجهُ مُنَاسَباتٍ وفُرَصاً كثيرةً ، وإنَّ فِراسَةَ الصَّحابَةِ وَحُسْنَ تَدْبيرِهِمْ قدْ جعلَهُمْ يَنْجَحُونَ لَدَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَمُناسبةٍ.. لقدْ وَقَعَ الاختيارُ لِلخِلافةِ فِي العَهْدِ الأولِ على أُناسٍ كانَ جُلَّ غَرَضِهِمْ نَشْرُ الدِّينِ المُحَمَّدِيِّ [كذا] ))([[239]](#footnote-238)) .. ويقولُ المؤلِّفَ الإنجليزي **إدوارد جيبون** (Edward Gibbon) عَنِ الخُلفاءِ الرَّاشِدِينَ فِي كتابِهِ «ٱنقِراضُ وَسُقُوط المَملكة الرُّومية» (Decline and Full of the Romaa Empire): (( لقدْ كانتْ أخلاقُ الخُلفاءِ الأرْبَعةِ الأولينَ وتصرُّفاتُهم نَزِيهةً مَضْربَ المَثَلِ.. إنَّ نشاطَهم وتفانيهم إنَّما كانَ بإخلاصٍ تامٍّ، ورغمَ التمكُّنِ مِنَ الثراءِ والسُّلطةِ فقدْ أفنَوا أعمارَهم فِي أداءِ المَسْؤوليَّاتِ الخُلُقيةِ والدِّينيةِ ))([[240]](#footnote-239)) ..

كانتْ هذِهِ هِي أُمَّةُ aٍ » مُتمثِّلة بالصَّحَابةِ الكِرَامِ  الذين ٱستَطاعُوا فِي فَتْرةٍ وَجِيزةٍ أنْ يُبَدِّدُوا عَنِ الأُمَمِ الظُّلْمَ والظَّلامَ؛ ويُحِلُّوا مَكَانَهُ العَدْلَ والنُّورَ والسَّلامَ والإسْلامَ .. وَأنْ يتحوَّلوا مِنْ رُعاةِ غنمٍ إلى قَادَةِ أُممٍ ، وَمِنْ عبيدٍ لأنفُسِهمْ إلى سادةٍ للعالمِ بأسرهِ ، ملوكِهِ وقياصِرتِهِ وأكاسِرتهِ !! ذلك كلُّهُ تمَّ لهُم بِفَضلِ اللهِ وبنِعمتِهِ، إكْراماً لَهُم ، وتَفْضِيلاً لِنبيِّهِمْ »... وَمَا دامَ ذلِكَ كذلِكَ، فَلَمْ يبقَ مِنْ داعٍ لِتَجْدِيدِ أُمةٍ، ولا لِبِعثةِ نَبِيٍّ، فكانَ أنْ خَتمَ  بِرَسُولِهِ الرُّسُلَ، وَبِرِسَالتِهِ الرِّسالاتِ، وبأُمَّتِهِ الأُممَ ... فلَئِنْ شقَّ مُوسَى  بَحْراً مِنَ الماءِ فٱنْحسرَ عَنْ رَملٍ وَحَصىً.. فقدْ شقَّ aٌ » بُحُوراً مِنَ النُّفُوسِ فٱنْحَسَرتْ عَنْ عُظَماءَ خالِدينَ أُطلِقَ عليهِمُ ٱسمُ «صَحَابةِ رسولِ اللهِ » و » ؛ وَلَئِنْ ردَّ اللهُ  شَمْسَاً غابتْ ليُوشعَ بعدَ لَحَظاتٍ.. فقدْ ردَّ  بِـ«aٍ» » ثُـمَّ بِهؤلاءِ الصَّحبِ الكِرامِ إلى الدُّنيا شَمْساً لا تَغِيبُ مَدَى الحَيَاةِ .. ولئِـنْ أحيا اللهُ  لِعِيسَى  المَوتَى ثُـمَّ ماتُوا .. فقدْ أحيا لِـ«aٍ» » وَصَحابتهِ  أُمماً ثمَّ لَمْ تمُتْ...

إنَّ لِسانَ الحالِ وشواهِدَ الواقِعِ - التي لا تقبلُ جِدالاً ؛ لأنَّها حقائِقُ ملموسةٌ أمامَ الجميعِ - كُلُّها تحكمُ بأنَّ الصَّحابةَ الكِرامَ  كانوا مِنْ أهمِّ أسبابِ خاتِميَّةِ هذا الدِّين وَهَيْمنتِهِ على الأديانِ السَّابِقةِ التي عانتْ كَثِيراً مِنْ تَسَلُّطِ بَعْضِ المُؤتَمَنينَ على الأمانةِ، وتلاعُبِهِم وعبَثِهِم بِها وَتَحْرِيفِهِم لَهَا؛ فَكَانَ لا بُدَّ - والحالُ تلكَ - مِنْ دينٍ تالٍ يُصحِّحُ الأخطاءَ ، ويُعالِجُ الهَفَواتِ، ويتداركُ مواطنَ الخَللِ التي أُحدِثتْ فيهِ !! كَمَا كَانَ لا بُدَّ مِنْ رِجَالٍ يَحْمِلُونَ ذَلِكَ الدَّينَ وَيَذُودُونَ عَنْهُ.. فَكَانَ الدِّينَ دِينُ الإسْلامِ.. وَكَانَ الرَّجَالَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ » وَ !!!

 وختامـاً أقـولُ .. بَعْدَ كلِّ ما تقدَّم مِنْ علاقةِ أصْحَابِ الأنْبِياءِ بِأنْبِيائِهِم ، وَمِنْ علاقةِ أصْحابِ مُوسَى  وَكَيفَ كانُوا مَعَهُ وَمَعَ اللهِ ، وَعَرَفْنا - بعدَ ذلك - كيفَ كانتْ علاقةُ أصْحابِ عِيسَى مَعَهُ وَمَعَ اللهِ  أيْضَاً.. ثُمَّ عرَّجْتُ عَلَى قَوْمٍ ختمْتُ بِذِكْرِهِمُ الفَصلَ، أُولَئِكَ هُمْ أصْحَابِ نَبِيِّنَا aٍ » وكيفَ كانَ حالُهم وٱستجابتُهُم للهِ  ولِرَسُولِهِ »، كلُّ ذلكَ معزَّزٌ بالشواهِدِ القُـرآنيَّةِ، وَالأحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَوَقَـائِعِ التَّارِيخِ الصَّادِقَةِ.. بَقِي لنا أنْ نعرِفَ مَنْ مِنْ هؤلاءِ قدْ حقَّقَ شُروطَ الأهليَّةِ للهِ وَلِرَسُولِهِ كامِلةً غَيرَ مَنْقُوصةٍ، وٱستَوفَى متطلَّباتِ الأَولِ والرُّجُوعِ والانتِسابِ إليهِم وافيةً غيرَ مُجتَزَئةٍ مِنَ البذلِ والعَطَاءِ والتَّضْحِيةِ بِالنَّفسِ والمالِ والأهلِ والوَلَدِ والغالِي والنَّفِيسِ بَعْد الإيمَانِ الاتِّباعِ والنُّصْرةِ والمؤازرةِ والسَّمعِ والطاعةِ ؟؟

مَا أنْ نكادُ نُكمِلُ كلَّ هذِهِ التساؤلاتِ وغيرِهَا الكثيرَ الكثيرَ حتَّى يأتِيَنا الجوابُ سريعاً مِنْ فورِهِ ، وكأنَّهُ يَحْمِلُ بَيْنَ طيَّاتِهِ وأجنِحتِهِ أنْ لا داعيَ لِكُلِّ هذهِ الأسئِلةِ.. فأصحابُ aٍ » مِنَ المُهاجِـرِينَ والأنْصارِ، والذيـنَ ٱتَّبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ القيامةِ والدِّيـنِ هُمُ «**الأهْـلُ**» وهُمُ «**الآلُ**» وهُمُ اللاحِقونَ، وهُمُ السابِقونَ، وهُمُ الآخِرونَ، وهُمُ الأَوَّلونَ يومَ القيامة ...

أمَّـا مَنْ باقِي ذَكرتُ فقدْ أخلُّوا جَمِيعاً بِتلكَ الشُّروطِ أو المُتطلَّباتِ، أو بَعْضٍ مِنْها؛ ممَّا عرَّضهم لِسَخَطِ الجَبَّارِ ، وَغَضَبِ رُسُلِهِ  تَـارةٍ ، ولِضَرْبِ الذِلَّةِ والمسكنةِ عليهِمْ تارةً أُخرى، وَلِوَصْفِهِمْ بالفِسْقِ، وفقدانِ الصَّوابِ، ومساوئِ الأخْـلاقِ حِيناً، والدُّعاءِ عليهِم بأقْسَى وأشدِّ أنْـواعِ الدُّعاء حِيناً آخَرَ !!!

1. () سورة هود / من الآية 40. [↑](#footnote-ref-0)
2. () يُنظر: المنهج القرآني/ ص392، والصحابة بين ميزانين/ ص30. [↑](#footnote-ref-1)
3. () سورة العنكبوت/ من الآية 26. [↑](#footnote-ref-2)
4. () يُنظر: المنهج القرآني/ ص392، والصحابة بين ميزانين/ ص30. [↑](#footnote-ref-3)
5. () كيف نتعامل مع القرآن العظيم/ ص423. [↑](#footnote-ref-4)
6. () سورة يوسف  / الآية 109. [↑](#footnote-ref-5)
7. () سورة a » / الآية 10. [↑](#footnote-ref-6)
8. () سورة الشعراء/ الآية 61. [↑](#footnote-ref-7)
9. () يُنظر: جامع البيان ج9/ ص447، والجامع لأحكام القُرآن ج13/ ص100، وفتح القدير ج4/ ص147. [↑](#footnote-ref-8)
10. () سورة الأعراف/ من الآية 129. [↑](#footnote-ref-9)
11. () سورة الأعراف/ من الآية 128. [↑](#footnote-ref-10)
12. () سورة الأعراف/ من الآية 129. [↑](#footnote-ref-11)
13. () سورة الأعراف/ من الآية 128. [↑](#footnote-ref-12)
14. () تفسير المنـار ج9/ ص69- 70، ويُنظر: التحرير والتنوير ج9/ ص61. [↑](#footnote-ref-13)
15. () من موضوعات القُرآن الكريم (أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات) / ص108، ويُنظر: الأساس في التفسير ج7/ ص3919، والتفسير المُنير ج10/ ص177- 178. [↑](#footnote-ref-14)
16. () من وحي القُرآن ج10/ ص152. [↑](#footnote-ref-15)
17. () يُنظر: مدارك التنزيـل ج3/ ص187. [↑](#footnote-ref-16)
18. () سورة الشعراء/ الآية 62. [↑](#footnote-ref-17)
19. () التحرير والتنوير ج19/ ص135. [↑](#footnote-ref-18)
20. () مِنْ موضوعاتِ القُرآن الكريم (العِناد والعِقاب في سورة الشُعراء) / ص28. [↑](#footnote-ref-19)
21. () يُنظر: المنهج القرآني/ ص392، والصحابة بين ميزانين/ ص30- 31. [↑](#footnote-ref-20)
22. () سورة التوبة/ من الآية 40. [↑](#footnote-ref-21)
23. () سورة التوبة/ من الآية 40. [↑](#footnote-ref-22)
24. () التحرير والتنوير ج19/ ص135. [↑](#footnote-ref-23)
25. () سورة الشعراء/ الآية 61. [↑](#footnote-ref-24)
26. () سورة التوبة/ من الآية 40. [↑](#footnote-ref-25)
27. () سورة الشعراء/ من الآية 62. [↑](#footnote-ref-26)
28. () سورة التوبة/ من الآية 40. [↑](#footnote-ref-27)
29. () سورة الشعراء/ الآية 62. [↑](#footnote-ref-28)
30. () سورة التوبة/ من الآية 40. [↑](#footnote-ref-29)
31. () يُنظر: إمامة الصِّدِّيق/ ص52- 53. [↑](#footnote-ref-30)
32. () سورة الشعراء/ الآية 62. [↑](#footnote-ref-31)
33. () سورة الشعراء/ الآية 63. [↑](#footnote-ref-32)
34. () سورة النساء/ من الآية 122. [↑](#footnote-ref-33)
35. () سورة الأعراف/ الآيات 138- 140. [↑](#footnote-ref-34)
36. () سورة الأعراف/ من الآية 138. [↑](#footnote-ref-35)
37. () في رحاب التفسير ج1/ ص169. [↑](#footnote-ref-36)
38. () من وحي القُرآن ج10/ ص154. [↑](#footnote-ref-37)
39. () سورة الأعراف/ من الآية 138. [↑](#footnote-ref-38)
40. () يُنظر: تفسير القُرآن العظيم ج2/ ص324، والمنهج القرآني/ ص392، والصحابة بين ميزانين/ ص31. [↑](#footnote-ref-39)
41. () تفسير المنار ج9/ ص92، ويُنظر: تفسير المراغي ج9/ ص51. [↑](#footnote-ref-40)
42. () مفاتيح الغيب ط. دار الكتب العلمية ج14/ ص182. [↑](#footnote-ref-41)
43. () من وحي القُرآن ج10/ ص152، ويُنظر: التفسير المُنير ج5/ ص82. [↑](#footnote-ref-42)
44. () تفسير الشعراوي ج7/ ص4330. [↑](#footnote-ref-43)
45. () من وحي القُرآن ج10/ ص153. [↑](#footnote-ref-44)
46. () زهرة التفاسير ج6/ ص2942. [↑](#footnote-ref-45)
47. () سورة الأعراف/ الآيات 138- 140. [↑](#footnote-ref-46)
48. () في ظِلال القُرآن ج9/ ص1366. [↑](#footnote-ref-47)
49. () سورة الأعراف/ من الآية 138. [↑](#footnote-ref-48)
50. () المصدر نفسه ج9/ ص1364. [↑](#footnote-ref-49)
51. () سورة الأعراف/ من الآية 138. [↑](#footnote-ref-50)
52. () تفسير الشعراوي ج7/ ص4330، ويُنظر: في ظِلال القُرآن ج9/ ص1366. [↑](#footnote-ref-51)
53. () من وحي القُرآن ج10/ ص154، ويُنظر: التفسير المُنير ج5/ ص82. [↑](#footnote-ref-52)
54. () المرجع نفسه ج10/ ص152- 153. [↑](#footnote-ref-53)
55. () المرجع نفسه ج10/ ص156- 157. [↑](#footnote-ref-54)
56. () يُنظر: في ظِلال القُرآن ج9/ ص1364- 1365، والأساس في التفسير ج4/ ص2003 . [↑](#footnote-ref-55)
57. () المصدر نفسه ج9/ ص1364. [↑](#footnote-ref-56)
58. () سورة الأعراف/ من الآية 154. [↑](#footnote-ref-57)
59. () سورة الأعراف/ من الآية 148. [↑](#footnote-ref-58)
60. () التفسير الكاشف ج3/ ص395. [↑](#footnote-ref-59)
61. () يُنظر: الصحابة بين ميزانين/ ص31. [↑](#footnote-ref-60)
62. () سورة الأعراف/ من الآية 150. [↑](#footnote-ref-61)
63. () سورة البقرة / من الآية 55. [↑](#footnote-ref-62)
64. () تفسير الشعراوي ج1/ ص345. [↑](#footnote-ref-63)
65. () المُقتطف من عيون التفاسير ج1/ ص86. [↑](#footnote-ref-64)
66. () سورة المائدة / الآية 22. [↑](#footnote-ref-65)
67. () تفسير المراغي ج1/ ص127. [↑](#footnote-ref-66)
68. () المرجع نفسه ج6/ ص93، ويُنظر: نظم الدُّرر ج6/ ص75- 78. [↑](#footnote-ref-67)
69. () الأساس في التفسير ج1/ ص187- 188، ويُنظر: تفسير المـنار ج6/ ص66، و ص278. [↑](#footnote-ref-68)
70. () من هُدى القُرآن ج2/ ص346. [↑](#footnote-ref-69)
71. () من موضوعات القُرآن الكريم (الحلال والحرام في سورة المائِدة) / ص58. [↑](#footnote-ref-70)
72. () الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج8/ ص69. [↑](#footnote-ref-71)
73. () سورة التوبة/ الآية 59. [↑](#footnote-ref-72)
74. () سورة المائدة / من الآية 23. [↑](#footnote-ref-73)
75. () من موضوعات القُرآن الكريم (الحلال والحرام في سورة المائِدة) / ص58. [↑](#footnote-ref-74)
76. () سورة المائدة / من الآية 23. [↑](#footnote-ref-75)
77. () سورة المائدة / الآية 24. [↑](#footnote-ref-76)
78. () من وحي القُرآن ج8/ ص73- 74، ويُنظر: التفسير الأمثل ج3/ ص590. [↑](#footnote-ref-77)
79. () من موضوعات القُرآن الكريم (الحلال والحرام في سورة المائِدة) / ص58. [↑](#footnote-ref-78)
80. () سورة المائدة / من الآية 24. [↑](#footnote-ref-79)
81. () تفسير الشعراوي ج5/ ص3063. [↑](#footnote-ref-80)
82. () تفسير المراغي ج6/ ص92- 93. [↑](#footnote-ref-81)
83. () سورة المائدة / من الآية 23، يُنظر: تفسير الشعراوي ج5/ ص3063. [↑](#footnote-ref-82)
84. () سورة المائدة / الآية 24. [↑](#footnote-ref-83)
85. () يُنظر: فتح الباري/ باب قولِهِ :  إذْ تَسْتَغيثُونَ رَبَّكُمْ  ... إلى قولِهِ: شديدُ العِقابِ  - ج7/ ص287- 288.. [↑](#footnote-ref-84)
86. () سورة المائدة / الآيتان 25- 26. [↑](#footnote-ref-85)
87. () من موضوعات القُرآن الكريم (الحلال والحرام في سورة المائِدة) / ص58. [↑](#footnote-ref-86)
88. () ج3/ ص1358. [↑](#footnote-ref-87)
89. () ج2/ ص50. [↑](#footnote-ref-88)
90. () من هُدى القُرآن ج2/ ص343، و ص347. [↑](#footnote-ref-89)
91. () سورة المائدة / الآية 25. [↑](#footnote-ref-90)
92. () يُنظر: المنهج القرآني/ ص392- 393، والصحابة بين ميزانين/ ص31- 32. [↑](#footnote-ref-91)
93. () سورة المائدة / الآية 26. [↑](#footnote-ref-92)
94. () سورة النحل: من الآية 33. [↑](#footnote-ref-93)
95. () الجيل المثالي/ ص2، ويُنظر: المُنتقى/ ص596. [↑](#footnote-ref-94)
96. () سورة البقرة / الآية 93. [↑](#footnote-ref-95)
97. () المحرر الوجيز ج1/ ص397. [↑](#footnote-ref-96)
98. () الأساس في التفسير ج1/ ص187- 188. [↑](#footnote-ref-97)
99. () تفسير المـنار ج1/ ص315. [↑](#footnote-ref-98)
100. () زهرة التفاسير ج1/ ص319. [↑](#footnote-ref-99)
101. () في ظلال القُرآن ج1/ ص91، ويُنظر: تفسير المراغي ج1/ ص171، وتفسير الشعراوي ج1/ ص467. [↑](#footnote-ref-100)
102. () الإتقان في علوم القرآن ج2/ ص311، ويُنظر: في رحاب التفسير ج1/ ص169، وتفسير الشعراوي ج1/ ص13- 16. [↑](#footnote-ref-101)
103. () سورة الأعراف/ من الآية 160. [↑](#footnote-ref-102)
104. () سورة البقرة / من الآية 61. [↑](#footnote-ref-103)
105. () من موضوعات القُرآن الكريم (الإسلام لله  في سورة البقرة) / ص84. [↑](#footnote-ref-104)
106. () الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج8/ ص69. [↑](#footnote-ref-105)
107. () من وحي القُرآن ج2/ ص60. [↑](#footnote-ref-106)
108. () من موضوعات القُرآن الكريم (الإسلام لله  في سورة البقرة) / ص84. [↑](#footnote-ref-107)
109. () تفسير الشعراوي ج1/ ص363- 364، ويُنظر: في ظلال القرآن ج1/ ص74. [↑](#footnote-ref-108)
110. () تفسير المـنار ج1/ ص270، ويُنظر: تفسير المراغي ج1/ ص131، والأساس ج1/ ص158- 159. [↑](#footnote-ref-109)
111. () تفسير المراغي ج1/ ص141- 142. [↑](#footnote-ref-110)
112. () سورة البقرة / من الآية 61. [↑](#footnote-ref-111)
113. () تفسير المـنار ج1/ ص270، ويُنظر: تفسير المراغي ج1/ ص131، والأساس ج1/ ص158- 159. [↑](#footnote-ref-112)
114. () سورة الأعراف/ الآيتان 161- 162، ويُنظر: سورة البقرة / الآيتان 58 - 59. [↑](#footnote-ref-113)
115. () سورة البقرة / الآيات 67- 71. [↑](#footnote-ref-114)
116. () المرجع نفسه ج1/ ص282. [↑](#footnote-ref-115)
117. () تفسير الشعراوي ج1/ ص389- 390، ويُنظر: المحرر الوجيز ج1/ ص341. [↑](#footnote-ref-116)
118. () في ظلال القُرآن ج1/ ص78. [↑](#footnote-ref-117)
119. () المُقتطف من عيون التفاسير ج1/ ص102. [↑](#footnote-ref-118)
120. () الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج8/ ص69. [↑](#footnote-ref-119)
121. () تفسير الشعراوي ج1/ ص392. [↑](#footnote-ref-120)
122. () سورة البقرة / من الآية 67. [↑](#footnote-ref-121)
123. () في رحاب التفسير ج1/ ص183، ويُنظر: زهرة التفاسير ج1/ ص265- 266. [↑](#footnote-ref-122)
124. () من موضوعات القُرآن الكريم (الإسلام لله  في سورة البقرة) / ص90. [↑](#footnote-ref-123)
125. () المرجع نفسه (الإسلام لله  في سورة البقرة) / ص90. [↑](#footnote-ref-124)
126. () من وحي القُرآن ج2/ ص76. [↑](#footnote-ref-125)
127. () التفسير الأمثل ج1/ ص231. [↑](#footnote-ref-126)
128. () تفسير المراغي ج1/ ص127. [↑](#footnote-ref-127)
129. () سورة البقرة / الآيات 83 - 86. [↑](#footnote-ref-128)
130. () سورة البقرة / من الآية 246. [↑](#footnote-ref-129)
131. () سورة البقرة / من الآية 246. [↑](#footnote-ref-130)
132. () تفسير الشَّعراوي ج2/ ص1045. [↑](#footnote-ref-131)
133. () سورة البقرة / من الآية 246. [↑](#footnote-ref-132)
134. () المرجع نفسه ج2/ ص1044. [↑](#footnote-ref-133)
135. () التفسير المُنير ج2/ ص796. [↑](#footnote-ref-134)
136. () سورة الصف/ الآية 6. [↑](#footnote-ref-135)
137. () سورة الصف/ الآية 14. [↑](#footnote-ref-136)
138. () الجيل المثالي/ ص3، ويُنظر: المُنتقى/ ص597. [↑](#footnote-ref-137)
139. () يُنظر: المنهج القرآني/ ص393- 394، والصحابة بين ميزانين/ ص33. [↑](#footnote-ref-138)
140. () سورة المائدة / الآية 112. [↑](#footnote-ref-139)
141. () مفاتيح الغيب ط. دار الكتب العلمية ج12/ ص107. [↑](#footnote-ref-140)
142. () الكشَّاف ط. دار الكتب العلمية ج1/ ص677- 678. [↑](#footnote-ref-141)
143. () أورد الزَّمخشري هذا الكلامَ فِي بيان حال اليَهود وسوءِ أدبهم مع نبيِّهم مُوسى ؛ وقد كرَّرتُه هُنا لأنَّ المقام، يكادُ يكونُ ذاته مع النَّبيينِ الكريمين  من قِبَلِ **«آلِهِم»** وأصحَابِهِم !!! [↑](#footnote-ref-142)
144. () الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج8/ ص69. [↑](#footnote-ref-143)
145. () سورة المائدة / من الآية 112. [↑](#footnote-ref-144)
146. () من وحي القُرآن ج8/ ص268، ويُنظر: تفسير المنار ج7/ 206- 207، وتفسير الشعراوي ج6/ ص3460. [↑](#footnote-ref-145)
147. () في ظِلال القُرآن ج5/ ص892 ، ويُنظر: الأساس في التفسير ج3/ ص1547- 1548. [↑](#footnote-ref-146)
148. () ج2/ ص311، ويُنظر: في رحاب التفسير ج1/ ص169، وتفسير الشعراوي ج1/ ص13- 16. [↑](#footnote-ref-147)
149. () في رحاب التفسير ج7/ ص1169. [↑](#footnote-ref-148)
150. () سورة آل عمران/ الآية 146. [↑](#footnote-ref-149)
151. () يُنظر: المحرر الوجيز ج3/ ص354، وتفسير الشَّعراوي ج3/ ص1805، والتحرير والتنوير ج3/ ص116- 117، والتفسير المُنير ج4/ ص433، وزهرة التفاسير ج3/ ص1438. [↑](#footnote-ref-150)
152. () في ظلال القُرآن ج4/ ص488. [↑](#footnote-ref-151)
153. () سورة آل عمران/ من الآية 147. [↑](#footnote-ref-152)
154. () سورة آل عمران/ من الآية 147. [↑](#footnote-ref-153)
155. () التحرير والتنوير ج4/ ص119. [↑](#footnote-ref-154)
156. () سورة آل عمران/ الآية 148. [↑](#footnote-ref-155)
157. () تفسير الشَّعراوي ج3/ ص1811. [↑](#footnote-ref-156)
158. () التفسير المُنير ج4/ ص444، ويُنظر: محنة الفئة المُؤمنة في القُرآن الكريم (أُطروحة دُكتوراه) / ص375- 377. [↑](#footnote-ref-157)
159. () سورة التوبة/ الآية 32. [↑](#footnote-ref-158)
160. () سورة النمل/ الآية 31. [↑](#footnote-ref-159)
161. () سورة الدُّخَان/ الآية 19. [↑](#footnote-ref-160)
162. () سورة النساء/ من الآية 122. [↑](#footnote-ref-161)
163. () سورة النساء/ من الآية 87. [↑](#footnote-ref-162)
164. () سورة البقرة / من الآية 143، ويُنظر: تفسير المـنار ج2/ ص4- 6. [↑](#footnote-ref-163)
165. () يُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص5، والمنهج القُرآني/ ص394. [↑](#footnote-ref-164)
166. () يُنظر: المرجع نفسه/ ص5. [↑](#footnote-ref-165)
167. () شرح صحيح مسلم للنووي/ كتاب الجنائز - رقم (948) ج7/ ص18- 19. [↑](#footnote-ref-166)
168. () يُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص5. [↑](#footnote-ref-167)
169. () سورة البقرة / من الآية 143. [↑](#footnote-ref-168)
170. () صحيح البُخاري/ كتاب الاعتِصام بِالكِتاب والسنة (باب قولِه :  وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً  - رقم (6917) ج6/ ص2675. [↑](#footnote-ref-169)
171. () فتح الباري ج8/ ص172. [↑](#footnote-ref-170)
172. () فتح الباري ج13/ ص567. [↑](#footnote-ref-171)
173. () سورة آل عمران/ من الآية 110. [↑](#footnote-ref-172)
174. () من موضوعات القُرآن الكريم (التوراة والإنجيل والقُرآن في سورة آل عمران) / ص101. [↑](#footnote-ref-173)
175. () التحرير والتنوير ج3/ ص48. [↑](#footnote-ref-174)
176. () تفسير المراغي ج4/ ص29. [↑](#footnote-ref-175)
177. () يُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص6، والمنهج القُرآني/ ص394- 395، والمرجعية القُرآنية/ ص152. [↑](#footnote-ref-176)
178. () صحيح البخاري/ كتاب المغازي (باب غزوة الحديبية) - رقم (3923) ج4/ ص1526، ويُنظر: صحيح مسلم/ كتاب الإمارة (باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة) - رقم (71) ج3/ ص1483، وسُنن النَّسَائي الكبرى/ كتاب التفسير (تفسير سورة الفتح) - رقم (11507) ج6/ ص464، ومسند أحمد بن حنبل/ مسند المكثرين من الصحابة (مسند جابر بن عبد الله ) - رقم (14352) ج3/ ص308، وسُنن البيهقي الكبرى/ كتاب الحج (باب الاشتراك في الهدي) - رقم (9981) ج5/ ص235. [↑](#footnote-ref-177)
179. () الموطأ/ كتاب الصَّرف وأبواب الرِّبا (باب الرجل يكونُ عنده الشهادة) رقم (847) ج3/ ص295، وعُمدة القاري/ كتاب الجهاد والسير (باب لا يقول فلانٌ شهيد) رقم (7982) ج14/ ص180، وعون المعبود/ كتاب الصيد (باب في الرجل يُعين على خصومه) - رقم (3596) ج10/ ص3. [↑](#footnote-ref-178)
180. () في ظلال القُرآن ج4/ ص447. [↑](#footnote-ref-179)
181. () من موضوعات القُرآن الكريم (التوراة والإنجيل والقُرآن في سورة آل عمران) / ص101- 102. [↑](#footnote-ref-180)
182. () الصواعق المحرقة/ ص7، ويُنظر: المُنتقى/ ص597، والروض الباسم ج1/ ص56، والجيل المثالي/ ص19. [↑](#footnote-ref-181)
183. () زهرة التفاسير ج3/ ص1355- 1356. [↑](#footnote-ref-182)
184. () الجيل المثالي/ ص3- 4، ويُنظر: المُنتقى/ ص597- 598. [↑](#footnote-ref-183)
185. () سورة التوبة/ الآية 100. [↑](#footnote-ref-184)
186. () الأساس في التفسير ج4/ ص2346. [↑](#footnote-ref-185)
187. () فتح الباري ج13/ ص567. [↑](#footnote-ref-186)
188. () مجمع البيان ج5/ ص98، ويُنظر: بحار الأنوار ج22/ ص302، وتفسير المنار ج11/ ص11- 12، والمرجعية القُرآنية/ ص151. [↑](#footnote-ref-187)
189. () الميزان في تفسير القُرآن ج9/ ص373، ويُنظر: تقريب القُرآن ج11/ ص19، و«من وحي القُرآن» ج11/ ص197، وتفسير الشعراوي ج9/ ص5443- 5448. [↑](#footnote-ref-188)
190. () سورة الحشر/ الآية 10، ويُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص47، والمنهج القُرآني/ ص391. [↑](#footnote-ref-189)
191. () التفسير الكاشف ج7/ ص290. [↑](#footnote-ref-190)
192. () سورة البقرة / من الآية 137. [↑](#footnote-ref-191)
193. () يُنظر: تفسير المراغي ج11/ ص56- 58، و«في ظِلال القُرآن» ج1/ ص118، وتفسير المنار ج1/ ص392. [↑](#footnote-ref-192)
194. () يُنظر: منهج التلقِّي والاستدلال/ ص161. [↑](#footnote-ref-193)
195. () سورة الأنفال/ الآية 74. [↑](#footnote-ref-194)
196. () سورة الأنفال/ من الآية 74، ويُنظر: تفسير الشعراوي ج8/ ص4825- 4828، والمرجعية القُرآنية/ ص148، و«من وحي القُرآن» ج10/ ص336. [↑](#footnote-ref-195)
197. () يُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص8- 9، والمنهج القُرآني/ ص395، وتقريب القُرآن ج10/ ص40. [↑](#footnote-ref-196)
198. () سورة الأنفال/ الآية 2، ويُنظر: القرآن وعليّ والصحابة / ص8- 9. [↑](#footnote-ref-197)
199. () سورة المائدة / الآية 24. [↑](#footnote-ref-198)
200. () يُنظر: فتح الباري/ باب قولِهِ : إذْ تَسْتَغيثُونَ رَبَّكُمْ ... إلى قولِهِ: شديدُ العِقابِ ج7/ ص287- 288.. [↑](#footnote-ref-199)
201. () من موضوعات القُرآن الكريم (الحلال والحرام في سورة المائِدة) / ص58، ويُنظر: تفسير الشعراوي ج8/ ص4817- 4822، والأساس في التفسير ج3/ ص1427- 1432. [↑](#footnote-ref-200)
202. () سورة الأنفال/ من الآية 72، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص150. [↑](#footnote-ref-201)
203. () يُنظر: الأساس في التفسير ج3/ ص1427- 1432، والقرآن وعليّ والصحابة/ ص17. [↑](#footnote-ref-202)
204. () في ظِلال القُرآن ج10/ ص1554 و ص1560. [↑](#footnote-ref-203)
205. () المصدر نفسه ج10/ ص1562. [↑](#footnote-ref-204)
206. () المصدر نفسه ج12/ ص1686- 1687. [↑](#footnote-ref-205)
207. () سورة الفتح/ الآية 18. [↑](#footnote-ref-206)
208. () يُنظر: يُنظر: في ظلال القرآن 26/ 3326، والقرآن وعليّ والصحابة/ ص23- 24، والمنهج القُرآني/ ص396. [↑](#footnote-ref-207)
209. () مجمع البيان في تفسير القُرآن ج5/ ص167، ويُنظر: الروضة من الكافي ج8/ ص322، والبرهان في تفسير القُرآن ج4/ ص196، وبحار الأنوار ج20/ ص346- 365. [↑](#footnote-ref-208)
210. () سورة الفتح/ من الآية 26. [↑](#footnote-ref-209)
211. () يُنظر: من موضوعات القرآن الكريم (بشائـر النصر في سورة الفتح) / ص483- 485، والقرآن وعليّ والصحابة/ ص23- 24، والمنهج القُرآني/ ص396- 397. [↑](#footnote-ref-210)
212. () سورة الأحزاب/ الآية 36. [↑](#footnote-ref-211)
213. () صحيح مسلم/ كتاب فضائل الصحابة  (باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) - رقم (2532) ج4/ ص1962. [↑](#footnote-ref-212)
214. () سورة الفتح/ الآية 29، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص148. [↑](#footnote-ref-213)
215. () سورة آل عمران/ من الآية 110. [↑](#footnote-ref-214)
216. () يُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص23- 24، والمنهج القُرآني/ ص395. [↑](#footnote-ref-215)
217. () في ظلال القُرآن ج4/ ص447، ويُنظر أيضاً: ج26/ ص3331- 3333.. [↑](#footnote-ref-216)
218. () سورة الحشر/ الآيات 8 - 10، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص149، و ص152. [↑](#footnote-ref-217)
219. () القُرآن وعليٌّ والصحابة/ ص58. [↑](#footnote-ref-218)
220. () سورة الطارق/ الآيتان 13- 14.. [↑](#footnote-ref-219)
221. () سورة فُصِّلتْ/ الآية 42.. [↑](#footnote-ref-220)
222. () المرجع نفسه / ص58- 59. [↑](#footnote-ref-221)
223. () يُنظر: المرجع نفسه/ ص50-51، والمنهج القُرآني/ ص395- 396. [↑](#footnote-ref-222)
224. () سورة الحشر/ من الآية 8 ، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص152. [↑](#footnote-ref-223)
225. () سورة التوبة/ الآية 100، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص152. [↑](#footnote-ref-224)
226. () سورة الحشر/ الآية 10. [↑](#footnote-ref-225)
227. () يُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص56- 58، والمنهج القُرآني/ ص396. [↑](#footnote-ref-226)
228. () سورة التوبة/ الآية 100. [↑](#footnote-ref-227)
229. () سورة الحشر/ من الآية 8. [↑](#footnote-ref-228)
230. () سورة الحشر/ من الآية 9. [↑](#footnote-ref-229)
231. () سورة الحشر/ من الآية 9. [↑](#footnote-ref-230)
232. () التفسير المبين/ ص631. [↑](#footnote-ref-231)
233. () الحجج الدامغات ج2/ ص259. [↑](#footnote-ref-232)
234. () سورة الرعد/ من الآية 11. [↑](#footnote-ref-233)
235. () سورة فاطر/ من الآية 43. [↑](#footnote-ref-234)
236. () سورة الروم/ الآية 4. [↑](#footnote-ref-235)
237. () سورة الفتح/ 29. [↑](#footnote-ref-236)
238. (3) Caetani (Annali dell Islam) Vol. 11, p. 429. T . W. Arnold, Preaching of Islam, London, 1935 نقلاً عن: «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم » الدعويةِ والتربوية»/ ص32. [↑](#footnote-ref-237)
239. () حضارة العرب/ ص134، نقلاً عن:«صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم »»/ ص33. [↑](#footnote-ref-238)
240. () 384 PP 1911 Decline and Full of the Roman Empire Edward Gibbon: The History of The

     نقلاً عن:«صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم » الدعويةِ والتربوية/ ص33. [↑](#footnote-ref-239)